# الثقافة

# AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي بابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩

العدد ٣٠٥ — الثلاثاء ١٤ من ذي القعدة سنة ١٣٦٣ — ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ — السنة السادسة


## فهرس العـــــدد


صفحة

١ مشكلة فلسطين ... ... : الدكتور فؤاد حسنين ...

٥ في كتابا حديث ... ... : الأستاذ «م» ... ...

٧ حكمة ... ... ... .. : الأستاذ نظمي محمد برطل

٧ الرجاء واليأس ... ... } مقطوعتان
خيبة الأمل ... ... ... } للمرحوم حافظ بك إبراهيم

٨ السيد عبد الرحمن الكواكبي : الأستاذ أحمد أمين بك ...

صفحة

١١ يحيى بلود فاتنة ... ... : الأستاذ الدحروجي محمد

١٣ الخيال الرحالة والرحلة ... : الأستاذ محمود الدسوقي ...

١٦ التطور والطفرة ... ... : الأستاذ محمد أحمد بنونة

١٩ ليلة أدب .. ... ... : الأستاذ محمود محمود ...

٢٢ من أعلام الإسلام ... ... : الأستاذ سيد قطب ...



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com


## مشكلة فلسطين

تحت هذا العنوان نشر الدكتور حليم حبيب دوس بحثاً في الثقافة (عدد ٣٠٠)، عرض فيه المسألة الفلسطينية عرضاً خرج منه القارئ على أن النزاع حول فلسطين هو نزاع بين الصهيونية والعروبة؛ كما قال إن الحرب الأوربية الأولى انتهت بعد أن قطعت إنجلترا على نفسها عهدين أولهما للعرب أخلفته وثانيهما لليهود أنجزته. والواقع أن تصور المسألة الفلسطينية بهذه الصورة يتفق والسياسة الاستعمارية ويخالف الحقيقة والواقع، فلو كان النزاع حول فلسطين قاصراً على العرب والصهيونيين لهان الأمر وتيسرت الأمور؛ لكن المشكلة الفلسطينية قبل أن تكون قضية العرب واليهود هي قضية إنجلترا والإمبراطورية البريطانية. فالتاريخ يحدثنا أن الجنرال اللنبي وقف في اليوم التاسع من شهر ديسمبر عام ١٩١٧ أمام باب يافا بالقدس وقال جملته المشهورة: «إن الأرض الموعودة ليست للعرب أو الفرنسيين أو اليهود وإنما للإنجليز»! وعد الجنرال اللنبي بلاد فلسطين، وكان وعده هو الوعد الرابع، إذ سبق أن وعدت بها إنجلترا العرب في أكتوبر عام ١٩١٥، والفرنسيين في مايو عام ١٩١٦، واليهود في نوفمبر عام ١٩١٧، ووعدت إنجلترا نفسها في ديسمبر من العام نفسه. لذلك تهكم الساسة الغربيون على العهود الأربعة التي قطعت، والوعود التي بذلت، وأطلقوا — على فلسطين: «الأرض التي تعدد الوعد بها» — «too much promised».

مشكلة فلسطين قديمة، وأقدم من مؤتمر بال الصهيوني الذي عقد في سويسرا عام ١٨٩٧. فنحن نعلم أنه في القرن التاسع عشر انتشرت بين أشراف الإنجليز فكرة (إرجاع

اليهود (Restauration of the Jews) ادعاء منهم أن رسالة المسيحية التي انسلخت عن اليهودية لن تتم إلا بإرجاع هؤلاء اليهود إلى فلسطين . ولعل هذه الفكرة كانت تتصل اتصالاً مباشراً بالحقوق السياسية والنيابية التي ألفها اليهود في إنجلترا ، والتي تقتضاها أسسوا عام ١٨١٧ ما يعرف بجمعية نواب اليهود البريطانيين (Board of Deputies of British Jews) . وقد شغلت هذه الفكرة الرأي العام البريطاني كثيراً حتى أثناء حروب إنجلترا مع محمد علي باشا عام ١٨٤٠ ، حتى قال لورد أف شفتسبري (Earl of Shaftesbury) لوزير خارجية إنجلترا في ذلك الوقت وهو ( بلمرستون ) : إن الوزير أرسل من قبل الله لإرجاع اليهود إلى فلسطين . والواقع أن اهتمام إنجلترا بفلسطين في ذلك الوقت لم يكن رغبة في تحقيق رسالة المسيحية أو مساعدة اليهود ، بل لمصلحة الإمبراطورية البريطانية . ففلسطين تتصل بالشام ومصر ، وفلسطين تقع على طريق الهند كما أشار بذلك سياحة الكولونيل ( جولر Gawler ) عام ١٨٤٥ في كتابه عن سوريا . والكولونيل نفسه هو الذي زار عام ١٨٥٠ فلسطين ورفقته زعيم يهود إنجلترا ورئيس جمعية النواب اليهود ، ألا وهو موسى مونتفيور . وهذا اليهودي هو الذي نجح في إدخال عدد كبير من أعضاء جمعية النواب اليهود في طبقة أشراف إنجلترا ، حتى إننا نجد من بين أعضائها في القرن العشرين أمثال السير هربرت صموئيل ، ولورد روثشيلد ، والسير روبرت ولي كوهين ، ولورد بيرستد ، ولورد ملخت ، ولورد ريدنج ، الذي كان نائباً للملك في الهند من ١٩٢١ — ١٩٢٦ ، ووزيراً لخارجيتها عام ١٩٣١ ؛ وهؤلاء وغيرهم من بين الذين وجهوا سياسة إنجلترا التوجيه الخاص نحو الشرق العربي وفلسطين .

لكن يهود القارة الأوربية تنبهوا للأغراض التي ترمي إليها إنجلترا من وراء سياستها نحو اليهود وفلسطين ، فسارعوا إلى تنظيم أمورهم بفضل ( تيودور هرزل ) المؤسس الحقيقي للصهيونية . ولما رأت إنجلترا أن المسألة كادت تخرج من يدها ، بادر وزير مستعمراتها في ذلك الوقت (جيو شمبرلين) إلى استدعاء (هرزل) إلى إنجلترا ، وعرض عليه عام ١٩٠٣ وطناً قومياً لليهود ، لكن ليس في فلسطين بل في أوغنده ، وكان الوسيط بين الطرفين هو اللنبي لويد جورج ، ووزير الخارجية ( أرثر جيمس بلفور ) الذي شاءت المقادير أن تضعه في نفس المنصب عام ١٩١٧ كما وضعت لويد جورج رئيساً للوزارة .

عرض (هرزل) هذه المنحة على المؤتمر الصهيوني الطارئ الذي عقد في بال عام ١٩٠٣ فرفضت . وأدرك الإنجليز أن اليهود يلحون في المطالبة بفلسطين ، وأدركوا أيضاً أن ... اليهود بالأموال الطائلة لاستيطان فلسطين ، فتراجعوا عن عرضهم الأول وأخذت تتحين الفرص ... أغراضها ، ثم أعلنت الحرب الأوربية الماضية ، وإذا بأستاذ الكيمياء في جامعة منشستر وهو (حايم فيزمان) يعد نفسه لزعم الحركة الصهيونية . ويأتي عام ١٩١٦ فيستدعى من الجامعة إلى وزارة الذخائر الحربية حيث كان (بلفور) وزيراً للبحرية . ويلتقي الاثنان ويدور بينهما حديث ، وكان حول فلسطين ؛ وذلك لأن إنجلترا أدركت بعد مضي عامين من الحرب أن كسبها مرهون بإشراك أمريكا التي آل الحكم فيها إلى الحزب الديمقراطي نصير اليهود وحاميهم . لذلك سافر (بلفور) إليها ومضى هناك عام ١٩١٧ ليدرس الأمور عن كثب ؛ واقتنع أخيراً بأن نفوذ اليهود في البيت الأبيض عظيم جداً ، وأن إنجلترا لن توفق في ضم أمريكا إلى صفوف الحلفاء إلا إذا نجحت في كسب عطف اليهود هناك وإشراكهم في المسألة الفلسطينية . وقد أطلع (بلفور) على هذه الرغبة صراحة

اليهودي (لويز برنديز) أكبر الحائزين لثقة الرئيس ولسون وأعز أصدقائه في أبريل سنة ١٩١٧ . عرض بلفور رأيه على حكومته فأقنعت به ؛ وأرسلت لوقتها يهودياً إنجليزياً وهو السير روفوس إسحاق (اللورد ريدنج نائب الملك في الهند فيما بعد) إلى أمريكا للاتفاق مع اليهودي الأمريكي (لويز برنديز) ؛ وكانت نتيجة الاتفاق اعتراف إنجلترا بجعل فلسطين الوطن القومي لليهود ، وقضت الحكومة الأمريكية هذا الطلب وقدمته إلى مجلس الوزراء البريطاني . وهنا نجد الحكومة البريطانية تترك أسلوبها السياسي التقليدي ، وتوفق بين مصالحها وأماني اليهود القومية ؛ وذلك لأنها لو وافقت على المشروع كما عرض عليها لخسرت بقول الوصل والطريق إلى الهند ، والدفاع عن قنال السويس والشرق الأدنى .

ولعل الفضل في إصدار تصريح بلفور الغامض المكون من ثمان وستين كلمة ، والذي يعترف ويرعى بقاء وطن قومي لليهود في فلسطين مع المحافظة على الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود من سكان البلاد ، يرجع إلى المدرسة الإنجليزية المصرية التي وضع حجر أساسها اللورد كرومر ، والتي كان عملها قاصراً على وادي النيل والحجاز والشام . ومن أكبر شخصيات تلك المدرسة (أوري هربرت) أحد رجال قلم الاستعلامات السري و (ت . لورنس) و (ملنر) . وكانت تلك المدرسة تميل إلى جعل السيادة البريطانية في الشرق العربي مقنعة ؛ وأن تعترف إنجلترا لسائر الشعوب العربية بحق تقرير مصيرها واختيار نوع الحكومة التي تريدها ، أو تسمح لها بأن تكون فيما بينها حلفاً تحت إشرافها .

وقد خطت الحكومة البريطانية فعلا الخطوة الأولى في سبيل تحقيق تلك الأغراض عام ١٩١٣ ، إذ بدأ اللورد كتشنر الاتصال بالأمير عبد الله ( أمير شرق الأردن الحالي ) أحد أبناء شريف مكة . وفي يوليه ١٩١٤ ظهر الأمير مرة أخرى في القاهرة لمباحثات سرية مع الإنجليز . ثم أعلنت الحرب ، والأمير في الآستانة ، ولم تكد تركيا تعلم أن روسيا انضمت إلى الحلفاء حتى سارعت إلى ألمانيا . ومجئ الأمير بالعودة إلى القاهرة ، وضاعف الإنجليز نشاطهم لكسب العرب إلى جهتهم ، فكتب كتشنر خطاباً إلى الشريف أرسله مع ابنه ؛ فطالب حسين باستقلال سائر البلاد العربية (ما عدا عدن) ، وكان ذلك في خطابه المؤرخ ١٤ يوليه ١٩١٥ . ثم حدث أن خلف السير مكماهون اللورد كتشنر ، واستؤنفت المراسلات بين السير هنري مكماهون وبين الشريف ، وانتهت إلى وثيقة ٢٤ أكتوبر ١٩١٥ التي أجاب فيها الإنجليز مطالب العرب كاملة ، وكان هذا هو الوعد الأول الذي أبدته إنجلترا فيما بعد لاشتراك مع فرنسا في وثيقة أخرى بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩١٧ ، وتلت هذه الوثيقة مع سائر الوثائق في عمان ، وثيقة بتاريخ ٩ فبراير ١٩١٨ . وفي ٩ نوفمبر بلغ المثل الفرنسي في وشنجتون الرئيس ولسون اعترافات حكومته والحكومة البريطانية للعرب ، هذه الاعترافات القائمة على مبدأ حق تقرير مصير الشعوب . وبناء على هذه الاعترافات وتلك الوعود قاتل العرب إلى جانب الحلفاء هذا القتال الذي قال عنه الجنرال اللنبي أمام مؤتمر الدول الأربع الكبرى : إن مساعدة العرب لا يمكن تقديرها . ولما عقد مؤتمر السلام بباريس ، وتعارضت مطامع فرنسا مع وعود إنجلترا ، قال لويد جورج أمام ولسون : لقد حشدت بريطانيا ألف ألف جندي لمحاربة تركيا ، وبالرغم من ذلك لم تستغن عن مساعدات العرب !

لكن بينما توفق إنجلترا في الشرق إذ بالقدر يقسو عليها في الغرب ، فتهزم جيوشها في ٢٠ ديسمبر ١٩١٥ في غاليبولي ، وتجلو عنها نهائياً في ٩ يناير ١٩١٦ وفي كوت

ـ الإمارة بالعراق ـ اضطر القائد الإنجليزي (تونزهند) إلى التسليم في ٢٩ إبريل من العام نفسه ، فانتهزت روسيا وفرنسا حاجة إنجلترا إلى مساعدتهما وطلبتا منها بعض الامتيازات التي أقرتها إنجلترا في الاتفاقية المعروفة باتفاقية (سيكس — بيكو) في ١٦ مايو ١٩١٦ . وقيدت إنجلترا نفسها فيها وعود لفرنسا تتعارض مع وعودها للشريف ووثيقة مكمهون التي لم تسمع عنها فرنسا إلا في مؤتمر السلام الذي عقد في ربيع ١٩١٩ . وكانت هذه الاتفاقية هي وعد إنجلترا الثاني . أما الوعد الثالث ، فقد كان لليهود في نوفمبر ١٩١٧ ، والرابع وعد الذي لإنجلترا في ديسمبر من العام نفسه .

نجحت المدرسة الإنجليزية المصرية في الاحتفاظ بالسيادة البريطانية على فلسطين . وفي عام ١٩٢٠ أعلنت انتدابها وأصبحت المشكلة الفلسطينية أعقد من مشكلة قناة السويس . في الوصل آبار البترول وفي حيفا ميناء بترول ، وفلسطين ضرورية جداً من الناحية الاستراتيجية لسكرة دولة تريد أن تهيمن على الشرق الأدنى ، أو تشرف على العلاقات بين الشرقيين أو الشرق والغرب . فلسطين إذاً يجب أن تبقى بريطانية ، ويجب أن تدافع عنها بريطانيا بمختلف وسائل الدفاع ؛ تدافع عنها ضد العرب وضد اليهود وضد التيارات السياسية العالمية . لكن العرب يدركون تماماً أن البلاد بلادهم ، يؤيدهم التاريخ ويقرهم الواقع ، فهم أسبق إلى فلسطين من بني إسرائيل . فالتاريخ يحدثنا أن تلك البلاد قطنها عنصران قبل أن يترع الإسرائيليون إليها أحد العنصرين سامي ، وكان يتكون عادة من البابليين فالكنعانيين فالآراميين فالعرب ؛ وبعدهم جاء العنصر غير السامي وإليه ينتمي الحيثيون والفلسطينيون الذين نسبت البلاد إليهم ؛ ومن بعدهم جاء بنو إسرائيل . ولم يكد يستقر اليهود في البلاد حتى سباهم الأشوريون في القرن الثامن والبابليون في السادس ، وشتتهم البطالسة وطاردهم الرومان وأحرقوا معبدهم عام ٧٠ م ، كما أطلقوا على أورشليم (الياكابتولينا) . واستمر حال اليهود كذلك بين اضطهاد الوثنية والمسيحية وتشريد اليونان والرومان ، حتى جاء الإسلام فحنا عليهم وأحسن إليهم ، وبعث فيهم الرغبة في الحياة والاستعداد للمساهمة في تشييد الحضارة وقيام المدنية . واليهود أنفسهم يقررون أن الفضل في ازدهار علومهم وآدابهم في مصر وشمال إفريقية والأندلس وسائر الأقطار الإسلامية يرجع إلى الإسلام والمسلمين . كل هذه المعلومات يعرفها العرب حق المعرفة ، فهم حريصون على الاحتفاظ بفلسطين وطن الآباء والأجداد ؛ والمسلمون حريصون عليها أيضاً لأنها بلد المسجد الأقصى ؛ والشرق العربي حريص عليها لأنها الحلقة التي تربط بين أطرافه ، والحجر الأساسي لمشروع الوحدة العربية .

دكتور فؤاد حسنين


تأليف محمد عبد الله عنان

## المآسي والصور الغوامض

يحتوي على مجموعة مختارة من المآسي الملوكية والمحاكمات التاريخية ، والسير العجيبة : لوكريسيا بورجيا ، بوكاشيو ، جرائم السحرة ، ذو القناع الحديدي ، كازانوفا ، الباروني وفنتاج ، سان جرمان ، روسو ومدام دي فرنس ، مصرع القيصر ، محاكمة مدام كابو ... الخ ، ومزين بالصور التاريخية

## قصص اجتماعية

يضم طائفة مختارة من القصص الرفيع أمدة من أعلام الأدب الفرنسي ، مثل : بورجيه ، و كوبيه ، وموباسان ، وبريفو ، وبيير لوتيس ، وهرفيو ، وكلود فارير ، وكورتلين ، وغيرهم ...

وثمن الأول ٤٠ قرشاً والثاني ٣٠ قرشاً

وطلبان من لجنة التأليف والترجمة ومكتبة النهضة وباقي المكاتب

علي هامش الحكم

# في ثنايا حديث

جرى الحديث في المجلس عن مصر ؛ وأي حديث انبسط إليه النفوس ابتساطها إلى حديث مصر ؟ إن الآمال لتستشرف المستقبل ، وإن الآلام لتظل عاتية من ثنايا العبر المذكورة في الماضي ، وإن القلوب لتتأمل هذه وتلك في هزة مخامسة لا تحمل على الآلام حقداً ، ولا تستسلم الأماني غروراً . بل تتطلع إلى الغد راجية أن يكون خيراً من الأمس في خشوع المجرب الذي عرك الحادثات ، وخرج من بينها بندوب تذكره بالنضال الطويل . وكانت الساعة صافية هادئة تجردت فيها النفس من الأهواء ، وسبحت في عالم المثل والصور ، حتى شعرنا بأن المجلس يغشاه ضوء أزرق رقيق من أضواء الأفق الأعلى

وكان النيل يجري تحت أعيننا ، ذلك النيل الذي شهد تصرم الأجيال وتقلب الدنيا بين الدول والأجناس ، فكان يذكرنا بمصر الخالدة التي ابتنت على ضفافه مدنية وحيدة في عالم موحش مقفر من المدنيات ، والتي عاشرت أمم العالم واحدة بعد واحدة ، حتى وقفت في هذا القرن العشرين مرة أخرى في مفترق الطرق ، تدعو بنيها أن يشدوا الناطق حول الأوساط ، وأن يستعدوا للوثبة الجديدة مع المدنية الجديدة .

لقد كان ذكر مصر في ذلك المجلس عيطاً للمجو ، وانتشاء للفكر ، وعلالة للقلب المتوثب القلق ! ولقد خيل إلي وأنا في ذلك المجلس أن قلبي ينفث لهباً بعد أن حسبته قد اكتهل وهدأ ، وأحسست الشعلة القديمة تشب فجأة لتدلني على أن الجمرة لا زال هناك تتقد في ملى مكنها ، ولا تزداد على الأيام إلا تعمقاً .

كان الجمع من الأصدقاء في منزل الدكتور بهي الدين بركات باشا ، وهو غني عن التقديم لأهل مصر جميعاً ، فلا حاجة بنا معه إلى تقديم . غير أن شيئين فيه يقربانه إلى «الثقافة» ويصلانه من أسرتها . فهو رجل من رجال الفكر الحر ؛ والثقافة ما زالت منذ نشأتها منبر الفكر الطليق . وهو رجل وهب نفسه لمصر كافة غير مقيد بحزب ، بل يخدم الحقيقة وحدها ، والثقافة منذ أوليتها تهب نفسها لمصر كافة ، ولا تخدم إلا الحقيقة وحدها

وتشعب الحديث وتدفق حتى بلغ الحكم ومسئوليته أمام الأمة ، فقال أحد الأصدقاء مشفقاً : « لقد شاعت في البلاد التهم حتى ساءت الظنون ، ولا ندري إذا صحت فالة السوء هل يمكن الإصلاح ؟ »

فيجري صاحب الدار يتحدث في صوته الهادئ : « ليس من الحق أن نحكم على الأمة بما نراه على ظاهرها . [illegible] العالم جمعت كل الطير ، ولا أمة اجتمع لها كل الشر . هكذا كانت الأمم قديماً وحديثاً ، وهكذا الأمة المصرية اليوم . فكل شعب يضم ثلاثة صنوف من الناس : صنف من الأخيار الذين يقبل بهم الطبع إلى تحقيق الخير ، وهؤلاء طائفة صغيرة تختلف نسبتها إلى جمهور الشعب ؛ فقد تزيد في بعض البلاد ، وقد تنقص في الأخرى ، ولكنها في كل الأحوال قليلة إذا قيست بمجموع الأمة . وهناك صنف آخر من الأشرار الذين يتصفون بالجرأة على مقارفة الشر ؛ وهم كذلك فئة قليلة إذا قيسوا بمجموع الأمة . وأما كثرة الناس والسواد الأعظم من الأمم ، فأفراد يجاهدون في تمار الحياة ، فيهم دوافع كامنة غامضة ، لا يوجهون على أنفسهم واجباً في الخير ، ولا يقحمونها قسراً في مقاحم الشر ؛ وهؤلاء قد ينصرون كتيبة الخير ، كما قد تنتصر بهم كتيبة الشر ، لأن فيهم عناصر كل ذلك متفاوتة كامنة . ومن هنا تتمثل لنا

مسئولية الحكم . فإذا أتيحت للأمة قيادة من الأخيار أظهرت كل ما في سواد الشعب من عناصر النبل والكرم والإيثار والتضحية ، وإذا تولت شئون الأمة قيادة من الأشرار ، أظهرت كل ما في سواد الشعب من الجشع والأثرة والظلم والقسوة » .

وساد المجلس صمت قصير . ونظر صاحب الدار إلى ما وراءه نحو النهر الساكن الذي كان يتلألأ تحت أنظارنا . ثم انطلق صوت متحمس فقال :

« وهكذا استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسمو بالعرب مع رسالته إلى أعلى الآفاق ، وهم هم العرب الذين كانوا من قبل أضيع الأمم شأناً » !

— وقال صوت آخر :

— وهكذا استطاع سعد أن يحيث في مصر تاريخ نهضة .

وقال ثالث في حيرة :

« ولكن هذا الرأي يجرى الأمم من نبات الحياة ، ويجعل الحكم هو المسئول وحده ، مع أن روح الحكم أحرى أن يكون صورة من روح الأمة » . وتطاولت الأعناق نحو السائل تتحفز للجواب ؛ وسبق صاحب الدار هادئاً فقال :

لا شك في أن الحكم والأمة يتكاملان في الصورة ولو بعد حين ، فحيث تسمو الأمة في مجموعها يسمو الحكم بغير شك ، وحيث تسف الأمة في مجموعها يوشك الحكم أن يتبعها إلى الإسفاف . ولكن الذي يأخذ بيد الأمة نحو العلا أو يتدهدى بها إلى الهوة هو رأسها . هم قادتها المسئولون عن مصائرها .

فعاد السائل فقال :

ولكن الأمة تختار قادتها ، وهم يكونون على صورتها ، فالمسئولية الكبرى عائدة إليها لأنها هي التي أخرجتهم على الصورة التي تختارها ! نعم . قد يفرض بعض الناس سلطانهم على الأمم قسراً ، ولكن سلطانهم لا يدوم إلا حيناً قصيراً ما دامت لهم القوة على القسر والإرغام ؛ ثم تعود الأمم فتنطلق وتختار لنفسها .

فقال صاحب الدار في حرارة :

لك أن تقول ذلك بغير شك . فالأمة هي التي تختار قادتها ولو كان ذلك بعد نضال طويل وتجارب مُرّة . ولكنها إذ تختارهم تلقي إليهم قيادها وتأتمنهم على مصيرها ، فليس لهم أن يتخذوا شيء في الأمة ، أو يحاولوا الاستتار وراءها . والأمم لا تتردد في طاعة القادة فيما يتجهون إليه إذا أنست منهم أنهم يتخيرون لها السبيل في حزم ونزاهة ، وإذا وثقت أنهم يعملون لها ويخلصون في النصح والاجتهاد في خدمتها .

إن القادة أشبه الناس بالرعاة . وصورة الراعي هي الصورة التقليدية للزعيم . فالقادة مطالبون بأن يتخيروا السبيل للشعوب التي يرعونها ؛ فإذا ادعوا أنهم قد ضلوا السبيل ، لأن الأمة هي التي ضلت بهم ، كانوا مثل الرعاة الذين يعتذرون عن هلاك القطيع بأنه هو الذي صرفهم عن سواء السبيل وجمح بهم إلى الهاوية .

وأي راع ذلك الذي يتقل طرفه في سواد قطيعه مترددا ، ثم يلحق به حيث سار ؟ ..

وعاد الصمت حيناً واتجهت الأنظار إلى النهر الهادئ الذي عاشر طوال العصور ، وسبح الخيال وانيا نحو المستقبل عند ما يتعاقب على هذه الأرض جيل بعد جيل ، وتمثلت لنا سيرة هذا العصر الحاضر ، إذ تتناقلها الأحاديث بعد دورة السنين الطويلة ؛ وسألت نفسي : ليت شعري ماذا يكون حديث المستقبل عن هذا الحاضر ومكانه بين حقب الزمان ؟! « م »

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

# حكمة

أيها الأمل الذي لاح في أفق حياتي باسما كالزهرة الفاتنة، آمراً كالنظرة الساحرة، مشرقاً كالومضة اللامعة!

أيها الأمل الذي انتشر كالضياء الشامل، فخدعني لرؤيته، لقد رنوت إليك فأضأت بوى بأشعتك. ولكن لما انصرفت عنك أدركتني الحلكة الدامسة فبتّ أسفاً حسيراً، ساهداً حزيناً!

أيها النور الذي انبثق فجأة أمام عيني فملأ الفراغ كالبحر الزّار، وأحاط بالكون كالأثير المنتشر، فأضمني هداية، وأفعمته عرفاناً، لقد أحببت إليّ، ولكنك أيأستني لما تلاشيت رويداً رويداً في الأصيل. فهل ستضيء سماء قلبي غداً أم ستتركني أعاني الآلام؟!

أيها النغم الحائر على شفة الحبيب، متردداً كالطائر الحالق الوحيد، مضطرباً كاللحن بين الأوتار، أأنت صوت ملاك يبحث عن رسول مقيم أم أنت الوعد عقاباً للهجران؟!

أيها الحاجة التي هبّت في صدري المكلوم فهزت جميع أعصابي، عاصفة كالريح العاتية، ثائرة كالأمواج الناشية — كلما تذكرتك شعرت بعتاب الحبيب الحنون، وأحسست بالعقاب والتأنيب وذقت نار الحرمان!!

أيها الأوار المشتعل في فؤادي ليل نهار، كلما سعيت في إطفائك انبعثت منك ألسنة النيران، وكدت لا تبقي على سويداء قلبي، فهل سيمدك الحبيب طويلا فتحرق عودي، أم سيخمد جذوتك الإنكار والنسيان؟!

أيها الطيف الذي أشعر به، ولا أراه، أأنت الذي ترشقني بسهامك الصائبة، وتهز شعوري بوعيك، وتقوّي خيالي بوحيك فتدفعني لكتابة هذه الكلمات؟!

أيها اليوم المحدود الذي اختفى وراء الأبصار، ثم أشرف على آمالي، ثم دنا، ثم أبطأ في الهبوط فأخلف الوعد، ونكث العهد، متى ستحث الخطى فتدرك الحبيب الهارب؟

أيتها السمات التي خلقت بين الشفتين فما عمّرت أكثر من لمح الأبصار، أتبقى ناموس التجدد في عالم السرور، وبشائر الحب التي تترى للفؤاد المؤمن!!

**نظمي محمد مغل**

---

## مقطوعتان لم تنشرا

### في ديوان حافظ

**الرجاء واليأس**

رجاء وكم يأس لولاك راحة
فردّ لنا بالله ما أنت سالبه
فأنت امرؤ أطمعتنا وحملتنا
على مركب لا يهدأ الدهر راكبه

***

**خيبة الأمل**

وحبّب آمالي وقوفك دونها
وأنك عند الظالمين تكيف
يسرك أني نائم الجد عاثر
ويرضيك أني للخطوب أنيف
ليهنيك ما بي من أسى وخصاصة
وتقليبي الكفين حيث أكون

زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث :

— ٣ —

# السيد عبد الرحمن الكواكبي

عرض « الكواكبي » بعد ذلك لأثر الاستبداد في فساد الأخلاق ، فالاستبداد يتصرف في أكثر الميول الطبيعية والأخلاق الفاضلة فيضعفها أو يفسدها ؛ فهو يُفقد الإنسان عاطفة الحب ، فهو لا يحب قومه لأنهم عون الاستبداد عليه ؛ ولا يحب وطنه لأنه يشقى فيه ؛ وهو ضعيف الحب لأسرته لأنه ليس سعيداً فيها ؛ وهو لا يركن إلى صديقه لأنه قد يأتي عليه يوم يكون فيه عوناً على الاستبداد ومصدر شر له

الإنسان في ظل الاستبداد لا ينعم بلذة الثروة والعلم والرجولة ، فلا يذوق إلا اللذة البهيمية لأنه لا يعرف غيرها .

والاستبداد يلعب بالأخلاق ، فيجعل من الفضائل رذائل ، ومن الرذائل فضائل : فيسمى النصح فضولا ، والشهامة تجبرا ، والحمية طيشا ، والإنسانية حمقا ، والرحمة مرضا ، كما يسمى النفاق سياسة ، والتحايل كياسة ، والدناءة لطفا ، والذلة دماثة وظرفا .

والاستبداد أفسد عقول المؤرخين ، فسموا الجبابرة الفاتحين عظماء أجلاء ، مع أنه لم يصدر عنهم إلا الإسراف في القتل والتخريب ؛ ثم شادوا بذكر السلف تملقاً للخلف .

والاستبداد يفقد الثبات في الخلق ، فقد يكون الرجل شجاعاً كريماً فيصبح بعوامل الاستبداد جباناً بخيلا . ولا أخلاق ما لم تكن ثابتة مطردة !

وأقل ما يؤثر الاستبداد في أخلاق الناس أنه يرغم الأخيار منهم على ألفة الرياء والنفاق ، ويعين الأشرار على فجورهم آمنين حتى من الانتقاد والفضيحة ؛ لأن أكثر أعمالهم تظل مستورة لا يجرؤ الناس على قول الحق أمامهم خوف العقبى .

وأقوى ضابط للأخلاق النهي عن المنكر بالنصيحة والتوبيخ وما إلى ذلك ؛ وهو في عهد الاستبداد غير مقدور لغير ذوي المَنَعة ، وقليل ما هم ، ويصبح الوعظ والإرشاد ملقاً ورياء .

في الحكومات التي نجت من الاستبداد أطلقت حرية الخطابة والتأليف والمطبوعات ، ورأت أن الفوضى في ذلك خير من تحديد الحرية ؛ لأنه متى وضعت القيود فقد منها الحكام ، وتوسعوا فيها حتى خلقوا منها سلسلة من حديد يحتقبون بها الحرية .

والاستبداد يفقد الناس ثقة بعضهم ببعض ، ويحل الخوف محل الثقة ، فيقل التعاون بين الأفراد ؛ والتعاون حياة الأمم .

والأنبياء سلكوا في تكوين الأخلاق مسلكاً خاصاً ، فبدءوا بإيقاظ العقول من تعظيم غير الله ، وذلك بتقوية الإيمان الفطري عليه الإنسان ؛ ثم جهدوا في تنوير العقول بمبادئ الحكمة ، وتعريف الإنسان كيف يملك إرادته وحريته في أفكاره ، وبذلك هدموا حصون الاستبداد . ثم أبانوا أنه مكلف بقانون الإنسانية واتباع المبادئ التي ترقيه وترقي جنسه — وكذلك فعل السياسيون الأقدمون من الحكماء .

أما القربيون المحدثون ، فوضعوا الأخلاق غير مرتكزة على الدين ، ولكن على ما أودع في فطرة الإنسان من شعور وحب للنظام ؛ وساعدهم على ذلك انتشار العلم عندهم والرغبة في التقدم ، واستعانوا على ذلك بالوطنية .

ثم وازن بين أثر التربيتين فقال : إن الغربي مادي الحياة ، قوي النفس ، مضبوط العاطفة ، حريص على الاستئثار ، حريص على الانتقام ؛ والشرقي غير مادي ، يغلب عليه ضعف القلب وسلطان الحب والإصغاء للوجدان ، والرحمة ولو في غير موضعها — وقد نجح الغربيون المحدثون في محاربة الاستبداد ، واستباحوا التدابير القاسية لمحو الظلم والاعتساف ، فنالوا ما أرادوا من تحرير الأفكار وتهذيب الأخلاق وجعل الإنسان إنساناً . وما أحوج الشرقيين إلى حكماء لا يبالون بدعاء العلماء الأغبياء والرؤساء القساة ، يجددون النظر في الدين فيعيدون إليه النواقص المعطلة ، ويهذبونه من الزوائد الباطلة ، فيملكون الإنسان إرادته وحريته وإنسانيته .

***

ثم الاستبداد والتربية — التربية تنمية الاستعداد جسماً ونفساً وعقلاً ، وهي قادرة أن تبلغ بالإنسان أعلى حظ من الرقي لو صلحت .

والحكومات العادلة تعنى بتربية الأمة من وقت تكون الجنين ، بل قبله ، بسن قوانين الزواج الصالح ، ثم بالعناية بالقابلات والأطباء ، ثم بفتح بيوت القطاء ، ثم بإنشاء المكاتب والمدارس وتنظيم خططها متدرجة إلى أعلى مرتبة ، ثم تسهيل الاجتماعات ، والإشراف على المراسح ، ثم تشجيع النوادي وإنشاء المكتبات ، وإعلاء شأن النوابغ بإقامة النصب ونحوها ، ثم بتنمية المشاعر القوية بشتى أنواعها ، وتيسير الأعمال وغير ذلك .

أما الحياة في الحكومات المستبدة فجرد نماء يشبه نماء الأشجار الطبيعية في الغابات والأحراش ، يسطو عليها الغرق والحرق ، وتحطمها العواصف ، والأيدي القواصف .

في الحكومة العادلة يعيش الإنسان حراً نشيطاً ، يسره النجاح ولا تقبضه الخيبة ؛ وفي الحكومة المستبدة يعيش خاملاً خامداً ، ضائع القصد حائراً .

الأسير المعذب يسلي نفسه بالسعادة الأخروية ، ويبعد عن فكره أن الدنيا عدوان الآخرة ، وقد جنى على المسلمين علماؤهم ، فأفهموهم أن الدنيا سجن المؤمن ، وأن المؤمن مصاب ، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه ، وهكذا مما ابتدعوه ؛ ويتغافلون عن حديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » ، وحديث معناه : « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم غرسة فليغرسها » ! وكل هذه التبطلات تحول الأذهان عن معرفة أسباب الشقاء إلى إلقائها على عاتق القضاء والقدر . وقد أحكموا هذه المكيدة باختراع الأحاديث التي تجعل الخضوع للحاكم ديناً ، كالسلطان ظل الله في أرضه ، والملوك ملهمون الخ .

وفي الجملة فالتربية الصحيحة لا تمكن في ظل الاستبداد !!

***

ثم الاستبداد — على الإجمال — يمنع الرقي . والرقي الحيوي الذي يسمى إليه الإنسان هو — أولا — الرقي في الجسم صحة وتجلداً ، ثم الرقي في الاجتماع بالعائلة والعشيرة ، ثم الرقي في القوة بالعلم والمال ، ثم الرقي في الملكات بالخصال والمفاخر . وهناك نوع آخر هو الرقي الروحي ، وهو الاعتقاد بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى نرقى إليها على سلم الرحمة والإحسان — والاستبداد بالأمة عدو ذلك كله ؛ بل هو يحول الميل الطبيعي فيها إلى طلب التسفل ، حتى لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ! وعندئذ يكون الاستبداد كالعلق ، يمتص دم الأمة فلا ينفك عنها حتى تموت ويموت هو بموتها . والاستبداد يجعل الأمة منحطة في الإحساس ، منحطة في الإدراك ، منحطة في الأخلاق . وهو يضغط عليها فتكون كدود تحت صخرة ! والمشفقون عليها يجب أن

يسعوا فى رفع الصخرة ولو حبًّا بالأظافر ذرة بعد ذرة !!

وهنا ضرب مثلاً يصح أن يخطب به الخطباء فى الناس ليستيقظوا ؛ فوضع خطبة نموذجية لتنبيه الشاعر . وقال إن الرق الذى يتشدد فى ظل العدل هو أن يكون الشخص أميناً على جسمه وحياته بحراسة الحكومة التى لاتغفل عن المحافظة عليه ، أميناً على ملذاته الجسمية والفكرية باعتناء الحكومة بإيجاد أسبابها ، أميناً على حريته فلا يُعتدى عليها ، أميناً على نفوذه كأنه سلطان عزيز فلا يمانع فى تنفيذ مقاصده النافعة ، أميناً على ماله وشرفه ، وما منحته الطبيعة من مزايا ؛ فما لم تتحقق هذه فالحكومة مستبدة ليست بيئة لترقى شعبها .

وأخيراً ما وسائل التخلص من الاستبداد ؟ هو يرى أن الاستبداد لايقاوم بالقوة إنما يقاوم باللين وبالتدريج ؛ بث الشعور بالظلم ، وهذا يكون بالتعليم والتحصيل ، ذلك لأن الاستبداد محفوف بأنواع القوات : كقوة الجند ، وقوة المال ، وقوة رجال الدين ، وقوة الأغنياء ؛ فإذا قوبل بالقوة كانت فتنة تحصد الناس ! وإنما الواجب المقاومة بالحكمة فى توجيه الأفكار نحو تأسيس العدالة . والاستبداد مع اعتماده على هذه القوات كلها يضعف أمام الوسائل المحكمة فى قلبه ، كما قيل : كم من جبّار عنيد جندله مقاوم صغير !!

ويجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ما يحل محله ، ومعرفة الغاية معرفة دقيقة واضحة . ومتى وضحت الغاية المرسومة يجب السعى فى إقناع الناس بها واستجلاب رضاهم عنها وحملهم على الفداء بها ، ويجب أن ينشر ذلك فى كل الطبقات حتى يصبح عقيدة ، فيتلهفون جميعاً على نيل الحرية وتحقيق المثل الذى ينشدونه ؛ عندئذ لا يسع المستبد إلا الإجابة طوعاً أو كرهاً .

وقد حدّد فى ثنايا كتابه ، ماذا يقصد بالحكومة المستبدة ، فقال : إنها تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق ، كما تشمل حكومة الجمع والمنتخبين إذا استبد ؛ بل قد يكون هذا الحكم أضر من استبداد الفرد . ويدخل فى أنواع الاستبداد أنواع الاستعمار ، فالمستعمر تاجر لا يرى إلا مصلحته . ولا عبرة بأسماء أنواع الحكومات ، إنما العبرة بحقيقتها ، وكل أمة فيها لون من ألوان الاستبداد ، ولكنها تختلف فيه كمية وكيفية ، فبعضها يمسه الاستبداد مساً خفيفاً ، وبعضها تغرق فيه من قدمها إلى مفرق رأسها . والغرب سبق إلى تقدير معنى الحرية والعدالة ، ولكنه لايأخذ بيد الشرق ، بل يستغله لمصلحته . وواجب الغرب أن يرعى للشرق سابق فضله ، فيأخذ بيده ليخرجه إلى أرض الحياة ، ويعامله معاملة الأخ لأخيه لا السيد لعبده ، ليتعاونا بعدُ على السير بالإنسانية .

وبهذا ينتهى الكتاب . وهو فيه قوىّ مخلص ، مملوء غيرة وأسفاً وتشوقاً إلى رفع نير الاستبداد عن الشرق وهو إن استمد الفكرة من الغرب ، فهو يبسطها ويعدّلها ويعنى بتطبيقها . وقد يؤخذ عليه حصر نفسه فى دائرة النظريات . وكان الكتاب يكون أوقع فى النفس لو ملأه بالشواهد وما رأى وسمع من أحداث ، وهو معروف بسعة الاطلاع ؛ فلو قرن النظريات بالشواهد لكان كتابه أكثر فائدة وأعم نفعاً ، ولكن يظهر أن قد منعه من ذلك أنه أراد أن يستتر فأخفى اسمه ولم يضعه على الكتاب . وقال فى مقدمة الكتاب إنه لم يقصد ظالماً بعينه ولا حكومة مخصوصة ، وهو لو أتى بالشواهد لدل على الحكومة التى يقصدها . وما كان فى ذلك من ضرر ، بل كان فيه كل النفع . ولكن الأمور تقدر بأوقاتها وظروفها ، وهو فيما أكتنفه من ظروف كان فى عرضه النظريات فقط شجاعاً جريئاً .

(يتبع) أحمد أمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# بعير يقود قافلة

قرأت للأستاذ أحمد أمين بك مقالا مفيدا في الثقافة ، عالج فيه موضوع الوحي والإلهام . وقد ورد في هذا المقال ذكر للحواس المجهولة التي يتمتع بها بعض أنواع الحيوان والطير ، والتي بواسطتها يمكنها أن تهتدي إلى مواطنها ، ولو كانت بعيدة عنها بآلاف الأميال . وقد ذكّرني هذا بحادث وقع لنا في إحدى رحلاتنا في الصحراء الغربية ، يوم أن سلكنا الطريق وكنا على وشك الهلاك ، لولا أن قيّض الله لنا بعيرا منهما قد وفقنا في أحرج الأوقات إلى السلامة . ذلك أنه في ربيع سنة ١٩٢٥ رافقت قافلة من الجمال كانت متجهة إلى الواحات البحرية في الصحراء الغربية ، وكانت القافلة مكونة من اثني عشر جملا ، محملة بالبلح لبعض تجار الواحة . وكان قائدها ودليلها الحاج مصطفى من عرب القبوم . فحصل بعد أن توغلنا في الصحراء بعيدا ، وبعد أن أصيب الحاج مصطفى بمرض [illegible] من متاعب السير ، فترك قيادة القافلة لوكيله ، وركب هو أحد الجمال في المؤخرة . وكان الشيخ نوفل وكيل الحاج مصطفى المذكور شريكا له كذلك في جمال القافلة ، وكان رجلا طاعنا في السن صعب النظر .

وكان من عادة القافلة أن تسير بالليل إلى ما يقرب من منتصفه ، ثم تستريح حتى بزوغ الشمس في اليوم التالي ، ثم تستأنف السير حتى الظهر ، ثم تستريح حتى العصر ، ثم تبدأ السير وهكذا .

وقد حدث في تلك الليلة أن اختلط الأمر على الدليل ، فحاد عن الدرب ، ودخل بالقافلة في منطقة واسعة غير مطروقة من غرود الرمال ؛ ولم ينبه أحد من قادة الجمال الآخرين لهذا الخطأ ، لظلام الليل ، ولتشابه المسالك ، وحداثة عهدهم بالصحراء ، فأوغلت القافلة بين الغرود في تيه مظلم لا آخر له كالمحيط ، وبقينا نضرب في هذا التيه على غير هدى حتى قبيل ظهر اليوم التالي حينما اعترض سيرنا واد عميق ، فتقدم الشيخ نوفل ليستطلع الوادي ، وهنا كانت وقفة لا أنساها ما حييت — فقد شاهدت الرجل يقف على حافة الوادي ، ثم يتطلع إليه مليا ، ثم ينقلب إلينا مهرولا مذعورا كالمجنون ، وهو يصيح بصوت أجش كالمجنون : لقد ضللنا الطريق يا حاج مصطفى !! كانت صيحة منكرة ، ومدتها في الصحراء الهلاك على أبشع صورة . فكان وقعها في نفوسنا شديدا أنها تفككت لها أوصالنا ، وهلعت لها نفوسنا .

واستيقظ الحاج مصطفى — وكان لا يزال محمولا على الجمل — على صياح الشيخ نوفل وضجيجنا ، فقفز من ظهر البعير كالمخبول ، وجسمه يرتجف من شدة الحمى ، واندفع نحو الوادي يجر جسمه جرا ، وقد بدا عليه الضعف وشدة الهزال .

[illegible] الوادي نظر هو الآخر إلى الوادي نظرة فاحصة ، ثم لوى على الأرض وأخذ يندب سوء المصير ، متوعدا وكيله بأشد أنواع العقاب — وأصاب القوم مس من الجنون فهاجوا وثاروا ، وأخذوا يسبون بعضهم بعضا ، ويكيلون للشيخ نوفل اللعنات ، ثم اشتبكوا في مشاجرات وعراك . واستمروا هكذا نحو ساعة حتى استغرقت أعصابهم الهائجة حدتها وهدأت ، فسكن القوم وسكتوا ، واستسلموا للقدر ؛ وفاق الحاج مصطفى من الصدمة وعاد إليه رشده ، وتذكر واجباته نحو القافلة كقائد لها ودليل ، فتجلد وتقوى ، ودعانا حوله واعتذر إلينا عما حصل ، وطمأننا على السلامة ؛ وقال إنه رأى بالليل وهو نائم سيدنا الخضر عليه السلام وقد أقبل على القافلة من جهة الغرب ثم استلم زمامها وقادها حتى أوصلها إلى الواحة بسلام . ثم صاح فينا : أبشروا ولا تحزنوا الله معنا ! ثم وقف متململا وقد تقلصت

عضلات جسمه ، وتجهم وجهه ، وجحدت عيناه ، وشاع بوجهه نحو السماء كمن يستلهم القوة وسداد الرأي والهداية.

وبعد أن مكث على هذه الحال نحو دقيقة ، لا يتكلم ولا يبدي حراكا ، كأنه في غيبوبة ، عاد إلى حالته الطبيعية وقد زال عنه الاضطراب والقلق ! ثم قال إنه قد أصبح منهوك القوى ضعيفاً ، ورأسه تدور لا تقوى على تعيين الاتجاهات ، ولهذا فقد قبل تسليم قيادنا لبعيره الخاص. وقال وهو يقدمه لنا إنه بعير أصيل ، ولد في هذه الصحراء ونشأ فيها ، وإنه جزء في أسفاره السابقة إلى الكفرة والجغبوب فكان بعيرا موهوبا تمكنه أن يهتدي من تلقاء نفسه إلى عيون الماء ، حتى ولو كانت على مسيرة خمسة أيام. فتقبل الجماعة قراره بالإذعان والتسليم ، ثم ناولوه في ركوب البعير فاستقل على ظهره كما كان ، بعد أن أرخى لبعير الزمام . وشخصنا أبصارنا إلى ذلك الجمل وأنه لوحيد الباقي في النجاة ، تتبع حركاته وسكناته لهفة وأسفا ، ونظرت إلى البعير فرأيته صريع الزمن ، تتبع الأعين يجول بعينيه في جميع الآفاق وقد ملأه الحقد والاعتداد بالنفس.

ولما صدر الأمر بالسير على بركة الله ، تقدمنا وحده مراً طليقاً ، فسار الموبنا على حافة الوادي نحو ساعة ، ثم وقف وقفة ، ورفع رأسه إلى أعلى ، وأخذ يشم الهواء بشهيق عميق ، ثم تحول نحو الشمال الغربي وأوغل بين كثبان الرمال ، وبعد نحو ساعتين وقف مثل وقفته الأولى ، وأخذ يشم الهواء ، ثم اتجه نحو الشمال وأخذ يهرول والجمال الأخرى في أثره تتبعه كظله ، لا تحيد عن أثره كأنها عالمة بمخرج الموقف.

وتابعنا السير في هذا اليوم من غير توقف ونحن في غم وهم ، لا ندري ما خبأه لنا القدر ، مستسلمين لحيوان أعجم يقودنا منذ الصباح حيث شاء ، من سهل إلى نجد ، ومن نجد إلى سهل ، في فيافي صحراء جرداء شاسعة واسعة لا نبات فيها ولا ماء .

وقبيل العصر خرجنا من منطقة القرود ؛ وبعد ساعة اتجهنا نحو الغرب ، وأخذنا نرتقي هضبة عالية (قارة) . وعند الغروب وقرص الشمس يحتجب وراء الأفق البعيد ؛ في تلك الساعة ، وقد أدبر النور وأقبل الظلام ، كنا نجاهد للحياة جهاد اليائس اليائس ، ونتبع البعير خطوة خطوة من غير أن يكون لنا إرادة أو عقل أو تفكير — في تلك الساعة كنا قد بلغنا القمة وانكشف السهل من تحتنا ، فأبصرنا أمامنا شريطاً طويلا أبيض ، عند عرض الصحراء ، من الشرق إلى الغرب . ولم تكد الجماعة تتبينه حتى صاحوا وصاحوا وعلوا وكبروا ، وفاض بهم الفرح فبكوا السعادة والخلاص . إنه كان الدرب الذي أضاعه الدليل بعد أن ضل مساء الأمس !! وتدافعوا مقبلين على الدرب يقبلونه ويتبركون به ، وعلى الحاج مصطفى يقبلون يديه ورأسه ، وأوقف البعير أنه قد أنجز مهمته فبرك على الأرض ليستريح .

الدمرداش محمد

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر
٤٥ في مصر والسودان
٣٧,٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
٦٠ في البلاد الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في البلاد الخارجة عن اتحاد البريد
ثمن العدد ١٥ مليما

# تمثال الرخام والراحلة

[ هينريش هينه Heinrich Heine كاتب هذه القصة شاعر يقف على عتبة الشعر الألماني الحديث ، وإن عاصر جيته Goethe ؛ وتأثر بتلك ناصية الألمية ، فأسلمت له القياد ، وبوأته الصدارة في عصره ، اتسم أسلوبه بالفكاهة والرشاقة والسخر ؛ يحركه الحب للشعر والحماسة للنقدة ، ويحركه السخر السام والتهكم اللاذع من أعمق الأعماق ، تخالط مشاعره الصميمة أحياناً نغمة دعية . أحب ألمانيا وطنه وأبغضها معاً ، وعاش على معاش من الحكومة الفرنسية ، فهو في نظر البعض موضع إعجاب يرفعه إلى عليين ، وفي نظر البعض الآخر وصمة في جبين . ولد سنة ١٧٩٩ في دسلدورف من أسرة يهودية ، وتنصر بعد ذلك ومات سنة ١٨٥٦ ] .

في هذه اللحظة استيقظت المريضة ، فتطلعت إلى الصديق عيناها الحنونان ، الزرقاوان ، وكأنهما زرقوان من أعماق علم تسألان وترجوان . قالت بذلك الصوت الناعم الذي تسمعه للصدور فيرعشك : أيم كنت تفكر الآن يا مكسمليان ؟ وهو صوت تسمع فيه نغمة العنادل ، وتغريدة الطير ؛ وتسمع فيه مع ذلك حشرجة الموت في صدر المحتضر . أيم كنت تفكر الآن يا مكسمليان ؟ وهبت من ضجعتها وقد عاودت السؤال ، فتلوت خصلتها الطويلة حول رأسها كأفاع من صعد مسها الروع .

فصاح مكسمليان : « ربك ! » ، وردها على الأريكة في رفق ، ابق مضطجعة حيث أنت ، وأمسكي عن الكلام ! سأقول لك كل شيء ، كل شيء أفكر فيه وأشعر به ، بل سأقول لك ما لست أعرفه .

ثم استطرد يقول : وفي الحق أني لا أدرك تماماً ما أفكر فيه وما أشعر به . صور من طفولتي تمر بخاطري غامة مبهمة : فهناك قصر أبي وحديقته المهجورة ، وهناك تمثال الرخام الجميل الملقى فوق العشب . وقد قلت « قصر أبي » ، فلا تتصوري بالله شيئاً فخماً تحف به الروعة ؛ فقد امتدت هذه التسمية ! وقد كان أبي يؤكد كلمة « القصر » توكيداً خاصاً ، ويبتسم لهذا التوكيد ابتساماً غريباً . فلما تقدمت بي الأيام أدركت معنى هذا الابتسام ، وكنت إذ ذاك غلاماً في الثانية عشرة أسافر وأبي إلى القصر . وكان سفري هذا هو الأول ؛ لبثنا فيه طول النهار نقطع الغابة الكثيفة ، وترتسم في ذاكرتي ملامحها المظلمة . وعند المساء وقفنا بمارضة أفقية تعترض الطريق إلى مرعى فسيح ، فمكثنا نصف ساعة ننتظر قبل أن يأتينا الولد من الكوخ القريب ويرفع الحاجز ويدخلنا . وأقول « الولد » لأنه هكذا نادى العجوز مارتا ابن أخيها البالغ من العمر الأربعين . وقد تركنا ننتظر هذا الوقت الطويل لأنه لم يشأ أن يستقبل سادته إلا بما يليق ، فذهب يرتدي بذلة التابع التي لخاله المتوفى ؛ وإن كان يدعوها الغبار فقد جعل ينفض عنها غبارها قبل أن يرتديها . ولولا أننا لم نعهد للبس جوربيه كذلك لقلت وهكذا ظلت ساقاه العاريتان المديدتان الجرداوان ، وليس بينهما وبين سترته القرمزية القانية من بيان يذكر . هذا إلى أني لم أدر آنئذ هل كان يرتدي تحت سترته سراويل ؟! ولما قادنا « الولد » إلى بناء صغير متهدم ، استغرب خادمنا يوحنا أن يكون هذا هو القصر الذي كان يسكنه والدي المرحوم ، وقد طالما سمع معنا عنه . وإذ تأمره أبي أن يذهب فيأتي بفرش النوم يسقط في يده ؛ فكيف يتصور أن ليس في القصر فرش للنوم ، وهو إما أنه لم يسمع بتاتاً ما أمرته به أبي عند السفر من أن يحضر معه فرشاً ، وإما أنه وجد أن لا ضرورة للتعب فلم يصدع بالأمر .

وكان البيت الصغير المؤلف من طبقة واحدة يحتوي أيام عزه الغابر على خمس غرف صالحة للسكنى ؛ أما اليوم فهو صورة حزينة من صور الماضي : أثاث محطم ، وطنافس ممزقة ، وألواح من الزجاج لم يسلم واحد منها من العطب ، وأرض المكان منزوعة هنا وهناك ، وفي كل مكان آثار سيئة لما كان من بني الجند وعدوانهم . وقال « الولد » وعلى

وجهه ابتسام الغباء : لقد كان نزول الجند عندنا مسلياً جداً . لكنه لما أشارت أمي بأن تدعها وحدها ، خرج الولد مع يوحنا لأعمالهما وذهبت أنا إلى الحديقة أعابثها ، فإذا هي أيضاً صورة لخراب عديم العزاء . فالأشجار الكبرى إما مقطعة الأوصال ، وإما مُطَّاحة يعلو جذوعها الفطر نبات طاغ ، وكأنه يسخرمنها . وقد عن الأدغال هنا وهاهنا فوق ما كان من مسالك ؛ وهنا وهاهنا تماثيل قائمة طاحت رؤوس معظمها ، أو جدعت أنوفها من الأنف ؛ ومن بينها تمثال لديانا فعلى الجلباب الناس نصفها الأسفل في أمره صورة ، وتمثال آخر لإلهة الوفرة والخصوبة قد أرهق بل فرط تجيل كربه الرائعة ؛ إلا تمثالا لا أعلم كيف سلم من يد الإنسان والزمان ، قد ألقى عن قاعدته على العشب فظل ملقى هناك لم يمسسه سوء ؛ تمثال إلهة من الرخام قسمات صافية بديعة ، وصدر نبيل بارز الثديين ، يتجلى من بين العشب الناعي كما تتجلى رؤى الأحلام ، وقد كان أرتاح حين رأيته ، إذ سرت إلى [illegible] وأقصتني عن منظره الظريف غباوة [illegible] .

كانت أمي حين عدت إليها واقفة بالنافذة ، غارقة في الفكر ، يعقد رأسها على ذراعها الأيمن ، وتحدر دموعها من دون انقطاع على خديها ؛ ولم أكن رأيتها تبكي هكذا من قبل . فصعدت إلى صدرها في حنان ولهفة ، ورجتني الصمح أن حرمني إهمال يوحنا من فراش أنام عليه . قالت : « ومازلنا العجوز تشتد عليها وطأة المرض ، فلا تستطيع يابني أن تنزل لك عن فراشها . على أن يوحنا سيحضر لك وسائد المركبة يمدها لمضجعك ، وسيجعل معطفه غطاء لك . أما أنا فسأنام هنا على القش ، فهذه حجرة أبي المرحوم ، وكانت قبلا ذات رواء . والآن دعني وحسدي » .. وتفجر من عينيها الدمع أغزر من ذي قبل .

فهل كان الضجع الذي لم آلف ، أم الفؤاد الذي هاجه الشجن ، هو ما أطار عن جفني النوم ؟ كانت أشعة القمر تنفذ رأساً من الألواح الزجاجية المحطمة ، وكأنها تستهويني إلى الخروج إلى ليل الصيف الزاهي . وقد تقلبت فوق فراشي على الجنبين ، وقد أغمضت عيني ، ثم عدت أفتحهما نهرما ، فما كانت تفارقني صورة التمثال الرخامي الجميل ، أو ينقطع تفكيري فيه ، ولم أستطع تفسير الغباوة التي تملكتني لمرآه ! وقد غلطني هذا الشعور السخيف ، وظلت أخاطب نفسي في خفوت : غدا تقبلك أيها الوجه الرخامي الجميل ، وتقبلك من ذلك الفم الذي تضامت شفتاه عن ثغر في أطرف تكوين ! ولولاك فلن لم أحس مثله قط ، سرى في جميع أعصابي فو أعد أقوى على مغالبة الدافع الغريب الذي كان يدمدمني . فوثبت أخيراً من فراشي ، والشجاعة الجريئة تتملكني ، وقلت : سأقبلك الليلة أيها التمثال العزيز فليس هذا بضائري ، [illegible] حتى لا تسمع أمي خطاي ؛ وسهل علي خلفك أن [illegible] إليك ، وإن زوّد بلوحة كبيرة تحمل [illegible] الأكبر ؛ كان ملوءاً من الأبواب . وجعلت أتحسس طريقي متمهلا بين عرائش النبات في الحديقة المهجورة ، والسكون شامل ، والرهبة سارية ، وضوء القمر الساجي يغمر المكان . وقد كانت ظلال الأشجار كأنها مسمرة فوق الأرض ؛ كذلك كانت الإلهة الحسناء مستلقية فوق العشب الأخضر بلا حراك . لكن الذي قيد حركتها لم يكن ، فيما بدا لي ، موات الحجر بل سكون الكرى ، فلما اقتربت منها خشيت حقاً أن يوقظها أخفت صوت خفقة جفنيها ، فجلست أتأملها حين انحنيت عليها أعلى قسمات وجهها الجميل ؛ ثم صدني عنها وجل سرى في خلوتي ؛ لكني عدت فودتني إليها شهوة طفلية خفق لها فؤادي ، كما لو كنت مقدما على جريمة قتل ! وأخيراً قبلت الإلهة الحسناء بمرفق وحنو ويأس ، كما لم أقبل في حياتي . وإن أنس لا أنس هذا الإحساس المرعب الخفو

الذى استولى علىّ حين مست فى برودة الشفتين الرخاميتين تشعرنى الهناء .

وسافرنا فى اليوم التالى ، ولم أر التمثال الظريف بعد ذلك . لكنه لبث سنوات أربعاً يشغل قلبى ، وبات يقعم نفسى فى ذلك اليوم شغف بالتماثيل الرخامية عجيب . فأنا إلى هذا الصباح أشعر بجاذبيتها القوية ، فقد جئت من لورنزانا ، مكتبة آل مدسيس ؛ ووقفت ، ولا أدرى كيف وقفت ، على المصلى الذى اتخذت لها فيه هذه الأسرة الإيطالية المجيدة مضجعاً من الحجارة الكريمة نامت عليه ملء الجفون ! هناك فى هذا المصلى لبثت ساعة كاملة أطيل التأمل فى تمثال رخامى لامرأة ، يشهد تكوينه الجمالى القوى بقدرة ميكائيل أنجلو وجرأته ، بينا شخص التمثال ترف حوله حلاوة أثيرية ليس من عادة المرء أن يطلبها عند هذا المعلم . هذا الرخام قد احتبس دولة الأحلام بكل ما فيها من غبطة ما كانة ؛ وفى هذه الأعضاء البديعة سكن هدوء مدنون ، وبدا سنو القمر المطلف وكأنه يسرى فى العروق .. هذه الليلة ميكائيل أنجلو بوناروتى . ألا ليتنى أستطيع أن أنام نومتى الأبدية بين ذراعى هذه الليلة ...!!

* * *

واستطرد مكسمليان بعد هنيهة يقول : لقد كانت رسوم النساء دائماً أقل تأثيراً فى نفسى من التماثيل . لكنى شغفت مرة بلوحة حباً ، وكانت لعذراء بارعة الجمال عرفتها فى كنيسة بمدينة كولونيا على نهر الرين . كنت إذ ذاك من رواد الكنائس المواظبين ، وكانت نفسى مدلهة بروحانيات الكثلكة ، قمينة بأن تجاهد كفارس من الأسبان ، طيلة الزمان ، فى سبيل مريم ملكة الملائكة ، وأجل سيدة فى السماء والأرض ، وأن تجعل من جهادها مسألة حياة أو موت ! كنت أهتم إذ ذاك بالمائدة المقدسة جماء ، وكنت أرفع قبعتى هاشاً كلما مررت بصورة للقديس يوسف . بيد أن هذه الحال لم تدم طويلا ، فقد انصرفت لجأة و « من دون انذار » عن « الأم » حين تعرفت فى متحف للفن القديم بحورية يونانية قيدتنى بأصفادها الرخامية زمناً طويلا .

وتضاحك مارى قائلة : وحبك الملتساء المنحوتات أم الرسومات ؟

قال مكسمليان : لقد أحببت منهن أيضاً من ملت ! وانتشر على وجهه شجن عظيم ، ولم يلحظ أن مارى ارتاعت لهذه الكلمات ، فمضى يقول فى هدوء :

من أغرب ما كان أنى أحببت فتاة بعد أن ماتت بسبع سنوات ! فحينما تعرفت بفيرى الصغيرة راقتنى كثيراً ، ووقعت من نفسى موقعاً حسناً . ظلت ثلاثة أيام مشغولا بها أحسن الهناء كاملا فى كل ما تفعل وما تقول ، وفى كل تعبير لكياتها الفاتن العجيب ؛ وأنا فى كل هذا لا أنتبه فى الناس ولا أسرف فى الحنان . وكذلك حين عادت بعد هذا بأشهر أنها توفيت لجأة من حمى فى الأعصاب ، لم يروعنى الخبر تروعاً شديداً ، ولم يهزنى من الأعماق ؛ وقد نسيتها نسياناً تاماً ، وأنا مقتنع بأنى لم أفكر فيها مرة لمدة سنين !! حتى إذا مضت سبع سنوات كاملة على الوفاة ، وكنت يوماً فى بوتسدام أنعم بالصيف الجميل فى وحدة مسترسلة دون إزعاج ، لا اختلاط بأحد ، ولا يعدو تطوافى التماثيل الموجودة فى حديقة سان سوسى Sansouci ، حدث أن تذكرت ملامح وجه ، وأسلوبا فى الحديث والحركة متناهياً فى اللطف ، دون أن أتذكر لمن هذه الملامح وهذا الأسلوب . وليس يعذب كالتنقيب فى الذكريات القديمة عن شىء مفقود . ومن ثم شدّ ما سرنى أن فوجئت بتذكر فيرى الصغيرة ، وأن تبينت أن ما كان يقلقنى ويداعب ذاكرتى ، إنما هو وجهها الحبيب المنسىّ . وقد اغتبطت بهذا الاكتشاف شأن من يلقى صديقاً حميماً على حين غفلة بعد طول الغياب .

# التطور والطفرة

رغم مابقام من اعتراض فى مدى وراثة الصفات البيئية، فإنه لايمكن أن نجهل أثر البيئة فى إحداث تغيرات لا بد أن تورث ، وإلا عدمت نظرية التطور واستحال التفكير فيها ؛ لما كان من الضرورى أن يكون لبيئة أثر يورث ، واستمرار حدوث هذه التغيرات يحدث تغيراً ينقل بواسطة الخلايا الجنسية ، ولما لابد من تأثير الخلايا الجنسية ، وهذه كفيلة بنقل هذا التغير .

وهذا مايحدث فى الطبيعة ؛ فقد يوضع السكان تحت ظروف معينة ، وتؤثر هذه الظروف فى السكان ويستمر أثرها إلى أن يؤثر ذلك فى تكوين الجاميطات التى لابد أن تصبح واسطة لنقل هذا التغير ، فيظهر فجأة نتاج يحمل صفات جديدة ، يرثها الخلف من الخلف جيلاً بعد جيل

مدة قرون ، دون أن تعانى تغيراً مهما تغيرت من بيئتها وهذه مايعبر عنه بالطفرات .

وفى عام ١٧٩١ فوجئ أحد مربى الأغنام بظهور حمل غريب ، له جسم طويل وأرجل قصيرة ؛ ولم يظهر مثل هذا الحمل من قبل . وكان هذا التاجر فى حيرة من أمره ، إذا تعودت أغنامه أن تقفز الحواجز إلى حقول جيرانه . أما النوع الجديد ذو الأرجل القصيرة فلم يتمكن من ذلك . وقد كان هذا الفرد ذكراً ، فتركه مع نعاجه بعد أن تخلص من الكباش الأخرى . وسمى النوع الجديد « Ancon » . وقد وجد أن اجتماع هذا الكبش الأنكونى بنعاج عادية ينتج أغناماً من نوعين ، أنكونى وعادى . وبانتقاء النوع الأنكونى تمكن بعد بضع سنوات من إخراج قطيع كبير ، ولم يعد متاعبه التى عانها من جراء اقتحامها للحواجز . وقد انتشر هذا النوع فى جميع مناطق وسط كنتوكى بأمريكا .

---

جعلت الألوان الباهتة تزهو شباباً متوثباً ، وأجبرت نغمات الإنسانة الصغيرة الحلوة لناظرى لحناً ودوداً ، تبتسم ، وتعبس ، وتتندر ، وتبدو أجمل من ذى قبل . من ذلك الحين لازمتنى هذه الصورة الطريفة ولم تفارقنى ، ملأت حنايا النفس ، فحيث كنت ووقفت وقفت ، وكانت إلى جانبى تتحدث إلىّ وتضحك معى فى غير ما ضجر ، ومن دون غلو فى الحنو . أما أنا فازددت مع الأيام اعتناقاً بالصورة ، وازدادت الصورة كل يوم تحققاً فى ناظرى .

ومن السهل أن تستحضر الأرواح ، لكنه من الصعب أن تردها إلى عدمها البهيم ؛ فإنها لتنظر إلينا عندئذ متوسلة فتكون قلوبنا لها أقوى شفيع ... وقد تعذر علىّ التخلص من قبرى فأحببتها بعد موتها بسبع سنين . وقضيت فى بونسدام ستة أشهر غارقاً فى هذا الحب . وعظمت عنايتى بتجنب الناس من ذى قبل ، فإذا

من أحد فى الطريق ربما منى ، أحسست أشد الضيق ؛ وبات يحدونى من كل لقاء مثل الهيبة التى تحدو أرواح الموتى الهائمة بالليل ؛ فإنهم يقولون إن هذه الأرواح إذا لاقت حياً فرت منه كما يفر الحى من الشبح . واتفق أن جاء بونسدام سائح لم يكن مناص من ملاقاته لأنه شقيق . فحين رأيته وسمعت منه ما وقع من حوادث الأيام الفائتة نبهت كما ينتبه النائم من حلم طائر ، وشعرت بخزى ، وأنا مذعور ، بمبلغ الوحدة التى كانت تطوينى ؛ فقد مرت فى فصول السنة فلم ألحظ تغيرها ، ولم أفطن إلى الشجر الذى تساقط ورقه من أمد ، واكتسى بنضج الخريف ، فرعيته عندئذ متعجباً . وبارحت بونسدام على الأثر ، وودعت فيها قبرى الصغيرة . وفى مدينة أخرى كانت تنتظرنى فيها أعمال هامة ، انخرطت بظروفى وصلاتى الوثيقة فى سلك الحقيقة الجافة .

محمود الدسوقى

ومن الأبحاث التي أوعزت بوجود الطفرات ما أجري على حيوان قشري يعيش في الماء العذب ، ويسمى براغيث الماء Daphnia ، فهذه البراغيث أعطت ما يقرب من (٣١٣) جيلا يعيش في درجة ٢٠° م ، وتموت إذا ارتفعت الحرارة إلى درجة ٢٦° م أو انخفضت تحت ١١° م . وبعد مضي ١٤ عاما على تربية هذه الحيوانات ظهرت سلالة جديدة ( طفرة ) تتحمل درجات حرارة تخالف السابقة . فصغارها تموت إن بقيت في درجة ٢٠° م ، وتعيش بحالة جيدة إن عاشت في درجة ٢٧° م ، وتموت بعد درجة ٣٠° م . ويتفق هذا النوع مع سابقه في شكله وتركيب أجزائه ، ولا يختلف عنه إلا في تحمل درجة حرارة أعلى . وظهور مثل هذا النوع الجديد يساعد الحيوان على المعيشة في بيئة جوها أكثر دفئاً .

وفي الولايات المتحدة ظهر نوع من القمح لا يزرع في المناطق الشمالية ، بينما كان النوع القديم يزرع في تلك المناطق . وتبين أن هذا النوع الجديد يزهر إذا أصبحت إضاءة اصطناعية تتناسب وطول النهار في أشهر الصيف بالبلاد الحارة . وقد ظهر هذا النوع فجأة ، وأعطى سلالات ثابتة تتصف بهذه الصفة الجديدة وأصبحت تتحمل جواً جديداً .

هذه الأمثلة المختلفة تسمى طفرات ، إذ أننا حصلنا على نوع جديد توالد وأنتج أفراداً تشبه الآباء ، ولكنها تختلف عن الأجداد . وقد علل ظهورها بحدوث تغير في تركيب أجزاء النواة في الخلية الجنسية .

وقد اهتم علماء الحياة بهذه الطفرات ، وبحثوا في كيفية حدوثها وحاولوا أن يحدثوها صناعياً . ومن أهم الأبحاث في هذه الناحية ما أجري على ذبابة الفاكهة ، التي تبين أن تركيب النواة في خلاياها الجنسية قابل للتغير المستمر الذي يعطي طفرات باستمرار . وقد حول تهجين الطفرات مع بعضها فأنتجت أفراداً تختلف تماماً عن الحشرات العادية ؛ ولولا معرفة نشأتها من هذا التهجين لما عرفت علاقتها بذبابة الفاكهة .

وقام العالم « Muller » بتجارب كثيرة على ذبابة الفاكهة ، وتتلخص أهم تجاربه في تعريض هذه الحشرات لأشعة X ، ولم يظهر أثر الأشعة في هذا الجيل ، بل ظهر في صغارها ، إذ نتجت أفراد تخالف آباءها من حيث لون العين وحجم الأجنحة .

وقد لوحظ أن هذه التغيرات ثابتة ، إذ أن هذه الأنواع الجديدة عند ما تكاثرت أعطت أفراداً تحمل صفات هذا الجيل الذي ظهرت عليه التغيرات الجديدة ؛ ومعنى ذلك أن أشعة X أو الأشعة السينية أعطت طفرات . وقد تبين هذه الصفات وجرب التهجين بين هذه الطفرات ، فوجد أنها [illegible] ، كما وجد أن بعض هذه الصفات [illegible] على غيره ، بينما يكون الآخر متنحياً [illegible] . وقد وجد أيضاً أن الطفرات التي ظهرت كان بعضها معروفاً من قبل والبعض الآخر كان حديثاً ؛ وهذا معناه أن استخدام هذه الأشعة قد يجعل بظهور الطفرات . وعلل هذا الظهور بأن الأشعة السينية موجودة في الطبيعة ولكن بمقدار بسيط ، ولذا لا تظهر الطفرات في الطبيعة بسرعة التجربة . ولا تنفرد الأشعة السينية بإحداث الطفرات ، إذ وجد أن لبعض المواد الكيماوية أثر كبير في إحداث الطفرات . وأثبت ذلك العالم البيولوجي Harison ؛ فقد لاحظ قلة نوع معين من الفراش الأسود في بعض المناطق بإنجلترا ، وكان هذا النوع معروفاً بكثرته منذ سنين مضت . ثم حدث بعد ذلك أن كثر هذا الفراش إلى حد كبير ، ووجد أن كثرته تتناسب وعدد المصانع ، فكلما زادت هذه الأخيرة زاد الفراش ؛ أما في الريف فإن هذا الفراش يكون نادراً . ولوحظ أيضاً في المناطق

الصناعية تغلب أنواع الفراش الأسود وقلة الأنواع البيضاء .

وقد أخذ Harrison في بحث المناطق الصناعية من حيث نباتاتها التي تتغذى عليها هذه الحشرات ، فوجد أن أوراق النباتات يكون عليها طبقة سوداء ، بهبا أملاح معدنية سامة ترسبت عليها مما تنفثه مداخن المصانع ، فخطر لهاريسن «Harrison» أن تكون هناك علاقة بين هذه المواد وحدوث الطفرات . فتغذى الحشرات بغذائها الطبيعي مضافاً إليه مقادير بسيطة جداً من أملاح المعادن الثقيلة ؛ وقد تحقق ما خطر له ، فظهرت طفرات ذات أجنحة سوداء ، وهذه تعطى أفراداً ذات أجنحة سوداء رغم تغذيتها بغذاء عادي لا يحتوي على أي مقدار من الأملاح . ولذا يكون للمواد الكيماوية أثر كبير في إحداث تغيير في تركيب محتويات النواة في الخلية الجنسية .

ومعنى ذلك أن عوامل البيئة سواء كانت طبيعية أو كيماوية تؤثر على الكائنات فتحدث فيها تغيرات ، وهذه التغيرات تقوى شيئاً فشيئاً ، حتى إذا طرأت في الخلايا الجنسية أمكن نقل هذا الأثر من جيل إلى جيل ، ويظهر هذا على شكل طفرات . ويلاحظ أن هذه الطفرات لا تكون موجهة نحو غرض خاص للاءمة ظروف معينة ؛ بل قد لا توافق البيئة التي تظهر فيها ويكون مصيرها الانقراض بحسب تلاؤم البيئة فتفنى وتندثر ويكتب لها البقاء .

فالنباتات التي تنمو بالقرب من شواطئ البحار تكون أوراقها لحمية ، وهذه صفة وراثية لا تتغير مهما غيرنا من بيئتها . فكيف نشأت هذه النباتات ؟ من المعروف أننا لو أخذنا نباتاً كالجاروبيا وروى بماء مالح نوعاً ، تكونت له أوراق لحمية ، وإذا روى بماء عذب فقد هذه الخاصية ؛ وعلى هذا فقد كانت نباتات الشواطئ نباتات عادية في بدايتها ، ثم تلحمت أوراقها جيلاً بعد جيل ، حتى ظهرت طفرة بعد ذلك تحمل صفة ثابتة لا تتغير مهما تغيرت ظروفها ، فساعدها ذلك على أن تصارع الحياة وكتب لها البقاء . أما ما دون ذلك فقد انقرض واختفى .

وبالمثل يمكن تفسير سواد اللون في أهالي المناطق الاستوائية ، فاللون القاتم ضروري لحماية الأنسجة الداخلية للجسم من أشعة الشمس فوق البنفسجية . ويلاحظ دائماً أن الأشخاص ذوي الجلد الأبيض تكتسب حمرة عند ذهابهم للشواطئ وتعرضهم لأشعة الشمس . وهذا اللون القاتم ضروري لحماية الأنسجة طالما وجد الإنسان في هذه البيئة ؛ أما إذا انتقل إلى بيئة أخرى أقل أشعة فسرعان ما يعود لون جلده إلى طبيعته . أما الزنوج فلونهم ثابت لا يتغير ، وهؤلاء الزنوج طفرات ظهرت من فجر الإنسان وبقيت وقاومت وهج الشمس فكتب لها البقاء .

على هذا نجد أن الكائنات تتأثر بعوامل البيئة حتى يمكنها أن تقاومها ، ويستمر هذا التغير موجهاً بهذه العوامل حتى نصل إلى حد تتأثر فيه الخلايا الجنسية ، عند ذلك يصبح هذا التغير قابلاً للوراثة بقيت عوامل البيئة أم تغيرت ؛ وهذه ما يعبر عنها بالطفرات . وهذه الطفرات إن هي إلا أنواع جديدة تظهر من وقت لآخر دون ضابط أو توقيت ، وتظهر بدون نظام ولا قصد ؛ وقد ينقرض بعضها وقد يبقى الآخر ، ولكن لابد من ظهورها ، ولابد من بقاء بعضها حتى يضمن البقاء للأحياء ، وحتى يستمر التطور . وما أشبه الطفرات بالعقرب في الساعة ، فباستمرار ساعة غير منتظمة يتحرك فيها العقرب فجأة ، ثم يبقى ساكناً سنين بل قد يكون أجيالا

محمد أحمد بنزة

# حياة أديب

عُرف جولدسمث فى أوساط الأدباء، وبين القراء، فتوفر له المال، وهجر القرية الحقيرة التى كان يقطنها، وشغل حجرة فاخرة فى أحسن أحياء المدينة؛ ولكنه كثيراً ما كان يعود إلى الحياة الوضيعة الأولى كلما اشتدت به الأزمة وضاق به العيش. وفى عام ١٧٦٤ أفلس الرجل ولم يبق فى جيبه درهم واحد، وهددته ربة الدار بإخلاء مسكنه، فأرسل إلى صديقه جنسن يطلب إليه النجدة، فبعث إليه جنسن بجنيه واحد، ويلمّنه الرسول أن صديقه آت على الأثر. ولما جاء جنسن ألفى صاحبه قد اشترى بهذا المال اليسير زجاجة خمر، فجذبها من يده وعنّفه على سوء فعله، وطلب إليه أن يتوب إلى رشده وأن يحسن التصرف فى ماله؛ فأجابه جولدسمث أن لديه رواية قد أعدّها للطبع والنشر، فأثنى عليها جنسن بقدر ما قدرها، ثم أسرع بها إلى أحد الناشرين وباعها على الفور بستين جنيها وعاد بالمبلغ إلى صديقه. فدفع جولدسمث أجر حجرته، ودعا صاحبة الدار وصديقه الأديب إلى تناول الخمر على حسابه... هذه الرواية التى باعها جنسن هى الرواية الخالدة «قسيس ويكفيلد».

ولكن قبل أن تطبع هذه الرواية بلغ جولدسمث أوج الشهرة الأدبية. وذلك أنه فى ديسمبر من عام ١٧٦٤ نشر قصيدة عنوانها «المسافر»، وهى أول أثر أدبى أخرجه مذيلا باسمه. وقد رفعته هذه القصيدة توراً إلى مصاف كبار الأدباء الإنجليز، وشهد له النقاد بالإتقان والجودة. وتختلف القصيدة عن كل ما كتب جولدسمث طوال حياته الأدبية: فالآراء عنده أجمل دائماً من الفكرة، ولكن الفكرة هنا خير من الآراء. «المسافر» قصيدة فلسفية، موضوعها أن جوّالاً إنجليزياً ألقى عصا التسيار على قنة من قنن جبال الألب، حيث تلتقى ثلاث من ممالك أوروبا العظيمة؛ ويرسل الرجل الطرف إلى ما حوله من فضاء، ويذكر رحلته الطويلة، ثم يأخذ فى وصف مختلف المناظر والأجواء والحكومات والأديان والطبائع الأمم التى مر بها؛ ثم ينتهى إلى أن سعادة الإنسان لا تتوقف كثيراً على النظم السياسية للدول، وإنما عمارها مزاج الفرد واستعداده العقلى.

وقد أعيد طبع هذه القصيدة أربع مرات قبل أن تظهر قصة «قسيس ويكفيلد». وما أن ظهرت هذه القصة حتى لقيت رواجا كبيراً؛ وبقيت حتى اليوم من خير ما فى الأدب الإنجليزى من قصص. وفى تكوين القصة كثير من العيوب: فكثير من حوادثها لا يحتمل الوقوع، وفيها إغراب فى الخيال لا نجده حتى فى قصص الجن والسحرة، ولا يربط حوادثها رباط من العقل والمنطق. ويقول المؤلف نفسه فى مقدمة الكتاب:

«فى هذا الكتاب مئات من الأخطاء، ولدىّ مئات من الأدلة أستطيع أن أسوقها لبيان ما فى هذه الأخطاء من مجال. ولكن ليست بى حاجة إلى ذلك؛ فالكتاب قد يكون خاليا من كل ما فيه من أخطاء، وقد يكون مملا دون أن نجد فيه مغمزاً واحداً». ويطل هذه الرواية يجمع فى شخصه ثلاثاً من أعظم ما يتميز به الإنسان من صفات: فهو قسيس، وفلاح، ورب أسرة. رحمته مملأ غيره، متواضعاً، قليل الثراء، عظيما فى الجن. ولكن هل تسر هذه الشخصية أحداً فى عصرنا هذا الذى يطمح إلى جمع المال وإلى تنقيد العيش؟ إن أولئك الذين يغرمون بالحياة الرفيعة قد يزدرون السذاجة التى تتجلى فى الدفأة الريفية التى يأوى إليها هذا الرجل. وأولئك الذين يخلطون بين الفكاهة البريئة وبذاءة اللسان، قد لا يجدون فى حديث هذا الرجل البرىء ما يتم عن فطنة وذكاء. وأولئك الذين تعلموا السخرية بالدين، سوف يضحكون من رجل يستمد عزاءه فى بلواه من عقيدته الراسخة فى الحياة الآخرة».

وفى الفصول الأولى من هذه القصة حلاوة الشعر الريفى، كما أن فيها حيوية الملاهى.

وقد شجع نجاح جولد سمث كتكاب روائي أن يعالج المسرحية. فكتب رواية « الرجل الطيب » . ولم يبلغ جولد سمث بمسرحياته حد الإجادة ، غير أنها درّت عليه ربحاً وافراً .

وفي عام ١٧٧٠ أخرج جولد سمث قصيدته الشهيرة « القرية المهجورة » ؛ وقد قصد بها تصوير الوان الذي لحق بالقرى بعد الثورة الصناعية في إنجلترا ، وهجرة الناس إلى المدن . ولاقت هذه القصيدة من القراء ترحيباً أكثر مما لاقت قصيدته السابقة « المسافر » . في هذه القصيدة ينقم الشاعر على الثروة والترف ، ولكنه يقدم — دفاعاً عن رأيه — منطقاً سقيماً لا يقبله العقل السليم .

ولكن هل نحكم على القصيدة بما فيها من صحة الفكرة ؟ كلا ! فليس من واجبات الشاعر أن يحسن التعليل والتدليل ، وإنما عليه أن يجيد الوصف . كما أن عليه أن يفتح عينيه على العالم الذي يعيش فيه ، وأن يكون دقيق الملاحظة ، وأن يرسم لنا من الحياة صوراً [illegible] من الوجود ، وألا يعرض علينا صوراً مشوهة من [illegible] والحقيقة لا وجود لها ولا يمكن أن يكون لها وجود . [illegible] أن فعل هذا بالصور الذي يخلط في صورة واحدة بين مناظر الربيع ومناظر الشتاء ، فيجمع في صورة واحدة بين الزهر والجليد . وهل يكفينا دفاعاً عن مثل هذه الصورة أن نقول إن الصور أغنى إبراز الألوان في كل جزء على حدة ، فالزهر زهر والجليد جليد ؟!

في قصيدة « القرية المهجورة » مثل هذا الخلط بين الزهر والجليد ، فيها صور مختلطة ليس بينها انسجام أو تناسق . فالشاعر يصور لنا القرية في صورتين : يصورها لنا جميلة سعيدة ، ثم يصورها بعدئذ بائسة قبيحة . والقرية الجميلة التي يصورها الشاعر صورة خيالية لبلد لا وجود له ، وما حل بها من خراب مبالغة إلى أقصى الحدود .

ثم عاد جولد سمث إلى الكتابة المسرحية ، فأخرج رواية « أذان بنفسها فتمكنت » ، وهي مليئة مثيرة للضحك ، وقد نجحت نجاحاً كبيراً وراجت ، وأقبل الناس رونها ممثلة على المسرح .

وبينما كان جولد سمث يشتغل بكتابة هذه المسرحية وبشعار « القرية المهجورة » ، كان يقوم بعمل آخر ليست له قيمة أدبية كبيرة ، ولكنه درّ عليه مالاً كثيراً ، وذلك أنه أخرج للتلاميذ المدارس كتاباً عن « تاريخ روما » ، وآخر عن : « تاريخ انجلترا » ، و« تاريخ اليونان » ، و« التاريخ الطبيعي » . ولم يكلف نفسه في تأليف هذه الكتب مشقة البحث ، وإنما اكتفى بالاختيار والاختصار ، والتعبير بلغة واضحة سهلة مما كان في بطون الكتب الأخرى التي كان حجمها وجفاف لغتها يجعلانها غير صالحة لاستعمال التلاميذ . وقد أخطأ في هذه الكتب أخطاء فاحشة ، لأنه هو ذاته لم يعرف شيئاً على وجه الدقة . فقد في كتابه « التاريخ الطبيعي » خرافات عن [illegible] يقطنون [illegible] ، وقردة تعمل بالحكمة ، وبلابل تستطيع رواية الأحاديث الطويلة . ويقول دكتور جنسن عنه في هذا [illegible] أنه لم يعرف جولد سمث عن هذا الحيوان [illegible] البقرة » . ومما يؤيد ضعف معرفته [illegible] من أن الشمس يستطيل شكلها في الأبراج الشمالية ، وأن الإنسان يحرك فكه الأعلى عند مضغ الطعام ، ولكنه — رغم جهله في هذه الناحية — من الكتاب القلائل الذين حاولوا تبسيط العلم وتيسيره على الطلاب . وقد كان بارعاً في الاختيار والتلخيص ، فكان الأطفال يستمدون من كتبه متعة كبيرة ؛ وهي — من أجل هذا — تستحق منا شيئاً من العناية والدراسة .

وأصبح جولد سمث الآن رجلاً ثرياً يستطيع أن يتمتع بالراحة والترف ، وبات يتمتع بشهرة عريضة ، وأخذ نجمه في الصعود ، واختلط بأعلى الأوساط العملية والأدبية ، وعرف خير المحدثين في زمنه : عرف جنسن زعيم الأدب في عصره ، وعرف الخطيب المصقع ، وكاريك مدير المسارح الكبيرة في لندن ؛ وتطلع إلى أن يباريهم في طلاقة اللسان والحديث . ولكن من العجيب أن هذا الرجل الذي كان يتميز أسلوبه حين يكتب بالوضوح والطبيعة

والرشاقة ، كان كلامه حين يتحدث فارغاً يكاد يكون ضجيجاً بغير معنى . وما أبعد الشقة بين ما كان ينشر وما كان يقول . قال عنه جارك : «إذا كتب فهو ملاك ، وإذا تحدث فهو بغاء» . الفكرة الأولى إذا طرأت لجولد سمث مضطربة سخيفة ، فإذا أعطيته فسحة من الوقت انضحت الفكرة في ذهنه وعبر عنها تعبيراً جيلاً . ومن ثم فإن جولد سمث إذا كتب سحر قارئيه ، وإذا تحدث صدّع سامعيه . وقد أدرك ضعفه في الحديث ، ولكنه لم يملك القدرة على ضبط لسانه ، فلم يمتنع عن الإدلاء بالرأي إذا دعا الداعي ، ولكنه سرعان ما يحس ركاكة القول وتملو خديه حمرة الخجل .

ومن أجل هذا كان عارفوه وخلطاؤه لا يقدرونه قدراً كبيراً ، يحبونه ولا يحترمونه . كان طيب القلب إلى حد الضعف ، كريماً إلى حد البذخ ، متسامحاً إلى حد يشجع غيره على النيل منه ، جواداً حتى لم يبق له ما يسد به دَيْنه . وكان مغروراً ، مندفعاً وراء شهواته ، مسرفاً ، قصير النظر . وفوق هذا كله كان لا يكاد قلبه الحسد . غير أنه كان يكتم في قلبه حسده ، فلا ينال بالمنافسة أو النميمة من منافسيه . كان صريحاً صراحة الأطفال ، لا ينافق ولا يداهن ، ولا يخفي رأيه حتى وإن كان في الرأي إيذاء لسامعيه . إذا أحس بالغيرة لا يتظاهر بعدم الاكتراث — كما يفعل غيره من الأدباء — ولا يطري إطراء خفيفاً ينم عن عدم الرضا والقبول ، ولا يستل سيفه الجارح في الظلام يقتل به العدو دون أن يراه ؛ وإنما كان قلبه على لسانه ، يصرّح بما في نفسه من غيره . سمع بُزْوِل — مؤرخ حياة جنسن — مرة يكيل المدح لهذا الأديب العظيم فقال له : « أرجوك ألا تنعت الرجل بهذه النعوت ، فإنك تحطم قلبي أيما تحطيم » . لم يكن جولد سمث ذلك الأديب الذي إذا لاقى أديباً غيره أطنب في مدحه والثناء عليه ، وإذا ما خلا إلى نفسه أرسل فيه النقد اللاذع ينشره في الصحف بغير توقيع . ولم يتخذ يوماً من الناس وتدبير الحيل مكيدة لغيره .

ويعتقد كثير من مؤرخي الأدب أن جولد سمث كان رجلا نابغاً قست عليه صروف الدهر ، وقضت عليه ظروف الحياة أن يكافح المشقات والمصاعب حتى تحطم في نهاية الأمر روحه . ولكن ما أبعد هذا القول عن الحق والصواب . أجل إن الرجل لاقى في حياته كثيراً من أسباب البؤس والشقاء ، ولكن ذلك كان قبل أن يلج باب الأدب . وما أن ظهر اسمه على الصحيفة التي نشرت له قصيدته «المسافر» حتى أخذ المال ينهال عليه انهيالا ، ويتدفق إلى جيبه كالسيل العرم . ولئن وقع بعد ذلك في الهم فليُلْقِ على نفسه اللائمة وليرى منها الظروف . ولكن جولد سمث لو استحوذ على كنوز سليمان ما كفته ، فقد كان ينفق ضعف ما يربح . يتأنق في اللباس ، ويسرف في الولائم ، ويرمي بالمال عند أقدام الحسان ، وما تقدم إليه غير إلا أعانه . ولكن هل تبددت كل ثروته في اللباس والولائم ، وفي الصدقات وعند النساء ؟ كلا ! لم يكن ذلك ، وإنما كان جولد سمث منذ حداثته مقامراً جريئاً مغامراً يرمي بالمال على ظهر في اللعب أو يقتله ؟ فاضطر إلى الاستدانة من أصحاب الكتب والناشرين حتى نضب ماله وأفلس ، ولم يكد يجد ما يسد به الرمق ، فتحطمت قواه ، وخارت روحه ، وألمت به حمى شديدة . واعتمد على علمه بالطب وتعرض لنفسه بالعلاج ، ولكن بالبيت نفقته في طبه كانت كنفقة الناس فيه — إذن لأنفد حياته من براثن المرض ! قال لصديق له يوماً : «إنني لا أمارس مهنة الطب ، ولا أتكسب بها ، ولكني أصف لأصدقائي العلاج بغير مقابل» . فأجابه الصديق : « بل صفه لأعدائك ! » . ووصف جولد سمث لنفسه الدواء فتضاعف عليه المرض ، واضطر إلى استدعاء الأطباء الخبراء . ولكن بعد ما استفحل الداء وعزّ عليه النوم ، وفقد شهية الطعام ، واختل توازن عقله في أيامه الأخيرة .

وفي ٣ أبريل من عام ١٧٧٤ فاضت روحه وهو في السادسة والأربعين من عمره ، وبكاه أصدقاء وأحباؤه بالدمع السخين .

محمود محمود

صحيفة النقد :

# من أعلام الاسلام

## محمد عبده . . . للدكتور عثمان أمين

« محمد عبده » من أعلام الإسلام فى العصر الحديث وفى جميع العصور . وقد أحسنت « لجنة دائرة المعارف الإسلامية » بضم هذه الشخصية الإسلامية الحديثة إلى سلسلة أعلام الإسلام ، فالإسلام وحدة فى جميع الأجيال ، ورجاله هم رجاله من قدامى ومحدثين .

ولكن شيئاً واحداً قد أثر فى قيمة هذا الاختيار الموفق . ذلك أنه كان من المستطاع أن تكون هذه الدراسة خيراً مما كانت ؛ فشخصية الأستاذ الإمام وسيرة حياته أخصب بكثير من تلك الصورة التى أخرجها الأستاذ المؤلف ، الدكتور عثمان أمين .

ولقد تمتعت شخصيات كمروان بن الحكم والمنصور ابن أبى عامر ، بل كبشار وأبى نواس ، من شخصيات هذه السلسلة بما لم تتمتع به شخصية الأستاذ الإمام من الدراسة والتمحيص ، ومن التجلية والتصوير !

لقد جمع المؤلف الفاضل طائفة صالحة فى هذا الكتاب من أخبار الأستاذ الإمام وأقوال بعض إخوانه وتلاميذه عنه ، وآراء بعض من عاصرهم أو قابلهم من الشرقيين والغربيين فيه ، فمن يريد الكتابة عن « محمد عبده » مادة خامة صالحة للكتابة ؛ ولم يكد يتجاوز هذا فى كتاب عنوانه : « محمد عبده » .

ونحن نعتقد مخلصين أن « الإنسان » ليس هو الحوادث والأخبار ، إنما هو استجاباته لهذه الحوادث ، ودلالة هذه الاستجابة على « نفسه » وطبيعته . وليست تعنينى أخبار كائن من كان إلا بمقدار ما أعرف « من هو » هذا الكائن ؛ وإلا بمقدار ما أجد فيها « مفتاح شخصيته » وطبيعة نفسيته .

وشىء من هذا كله لم يتعرض له مؤلف « محمد عبده » إلا نادراً . إذا كان همه موجهاً إلى جمع طائفة من أخبار نشأته وتعليمه وأسفاره وأعماله ، مما تفرق فى كتب الشيخ رشيد رضا وشارل آدمز وعبد الرحمن الرافعى ، وفى بعض الصحف والمجلات من هنا أو هناك .

ولا أريد أن أقلل من أهمية جمع هذه الأخبار والأقوال ، فهى المادة الأولية الضرورية للدراسة ، وجمعها هو الخطوة العلمية البدئية . ولكن الوقوف عند هذه الخطوة تقريباً لا يجعل هذا العمل بحثاً ولا ترجمة ولا صورة حياة . ولا بد من الخطوة التالية ، وهى تنسيق هذه الحقائق وتبويبها ، واستنطاق هذه الشواهد وتحليلها ، وتوجيهها جميعاً لإحياء « الشخصية » المعروضة ، وكشف دخائلها النفسية ومنحها العنوان المميز لها من بين الشخصيات .

ولقد أراد المؤلف الفاضل أن يصنع هذا فى النهاية فكتب فصلا أسماه : « شخصية الأستاذ الإمام » استغرق فيه ثمانى صفحات .

ونحن نعتقد أن المجال لم يكن ضيقاً أمام المؤلف ، لو أنه عمد إلى طريقة أخرى غير طريقة السرد والجمع التى عمد إليها ، وأن هذا الفصل الأخير وحده كان فيه متسع لو زاده بضع صفحات يتسع لها حجم الكتاب ؛ بل لو اتبع فى هذه الصفحات الثمانية طريقة التصوير السريع ، واستخراج دلالة الحادثة التى يسوقها وعدم الوقوف عند تسجيلها .

فالمهم أولا فى دراسة رجل كالشيخ محمد عبده ، هو رسم صورة واضحة مكتملة للعصر الذى عاش فيه ، والبيئة التى عاملها ؛ وهذه الصورة لا تلزم فى دراسة أخرى لرومية فى دراسة محمد عبده « الصلح الدينى الاجتماعى » ، الذى

يقاس جهده وتقاس عظمته بمقدار ما ضارع بيئته وما ترك فيها من آثار . والشيخ محمد عبده بالذات لا تبرز عظمته إلا بوضع هذه الصورة أمام صورته ؛ ومقابلة عقلية جيله بعقليته . ولا يكفي أن يذكر المؤلف طريقة الدراسة في الأزهر أيام دراسته في هذا الاختصار الذي ذكره ، ولا معارضة الأزهريين له يوم أن هم بإصلاح الأزهر فيما بعد . كلا لا يكفي هذا لبيان عظمة محمد عبده بالذات ، فمحمد عبده — في الواقع — كان يواجه جيلا كاملا في شتى نواحيه العقلية والنفسية والدينية ، ولم يكن الأزهر إذ ذاك إلا صورة من صور الجيل ، الذي هزه جمال الدين أول هزة ، وترك لمحمد عبده أن ينشئه نشأة أخرى ، وقد فعل وبذل حياته كلها ليصل إلى هذه الغاية الكبيرة ، بحيث تعد النهضة العقلية الحاضرة عاملها الجانب السياسي إشعاعات لهذه الموجة الكبيرة ، موجة الإمام .

وواجب من يكتب عن « محمد عبده » أن يبدو [illegible] كله ، لا في سياق الحوادث والأخبار ، ولكن [illegible] والتحليل ، وإلا كان عمله تصغيراً لهذه العظمة من حيث لا يريد .

أقول « تصغيراً » وأعنيها ؛ ذلك أن أقوال محمد عبده وأعماله حين تذكر دون أن توضع أمامها مرآة العصر الذي قيلت أو عملت فيه ، قد تبدو لأبناء جيلنا صغيرة ، بالقياس إلى ما بلغنا إليه اليوم ، وإن كان بعضها ما يزال محتفظاً بعظمته حتى في الجيل الحاضر . ولكن دلالة هذه الأقوال والأعمال هي التي تحتفظ بقيمتها على ممر العصور . وهذه الدلالة هي التي أهملها الدكتور المؤلف في معظم الأحايين .

هذا وشيء آخر . ما لون هذه العظمة واتجاهها ؟

إن العظماء كثيرون ، ولكل منهم سمة واتجاه ، فما سمة محمد عبده واتجاهه ؟

إن قول المؤلف : « إنها شخصية معقدة قوية نشأت أولا في نطاق ضيق ، نطاق الدين واللغة والفلسفة ، ولكنها ما لبثت أن جاوزته وامتدت نشاطها إلى دوائر أوسع » . أو قوله : « كان رجلا عظيما لأنه عاش لأمته ورسالته أكثر مما عاش لنفسه ولأسرته . . . » .

هذا القول العام لا يعطي شيئاً عن نوع هذه الشخصية ، وما قاله عنها هنا تشترك معها فيه شخصيات أخرى كثيرة . وفي عصر محمد عبده بالذات قد يشترك جمال الدين وسعد زغلول معه في هذه الشخصيات !

إنما وظيفة الدراسة الحديثة أن تميز لنا أنواع العظمة في هؤلاء المتعاصرين أولا ، وفي كل عظيم بين عظماء الإنسانية جميعا .

وهذا لا يحتاج إلى فراغ كبير ، إنما يحتاج إلى خبرة « بتصنيف » العظمات ، وتمييز النفسيات .

لقد كانت عظمة محمد عبده عظمة « المصلح » في غير ثورة ولا [illegible] وكانت عظمة جمال الدين عظمة « الثائر » الذي [illegible] في الثورة ؛ وكانت عظمة سعد زغلول عظمة « الزعيم » الذي يلهم قيادة الملايين .

وهذه العظمات الثلاث قد تتكافأ في قوتها ، ولكنها تختلف في اتجاهها ، كما تختلف في محيطها .

فجمال الدين كان يريدها ثورة سياسية أولا ثم اجتماعية في الشرق كله ؛ ومحمد عبده ، كان يريدها إصلاحا دينياً ونفسيا وفكريا واجتماعيا في العالم الإسلامي ؛ وسعد زغلول كان يريدها نهضة وطنية مصرية .

وكان أمام المؤلف ما يجدد به طبيعة الإمام واتجاهه من الأخبار والأقوال التي أوردها في نفس كتابه ، ولكنه تركها غفلا بدون استشهاد ولا تحليل .

لقد كان يجد في موقفه من الثورة العرابية ، وعدم موافقته على الطفرة في المطالب الدستورية ، وارتياحه لإصلاحات رياض باشا ، وفي طريقته في إصلاح طريقة

التدريس والمناهج بالأزهر ، وأخذه ذلك بالرفق المصحوب بالعمل ، وفي قوله حين عين قاضيا : « لم أخلق قاضيا ولكني خلقت معلما ... » ، وفي كثير غيرها من الحوادث والأخبار والأقوال لمحات واضحة من هذه الطبيعة الموحدة .

ثم لقد كانت للإمام صفات نفسية وعقلية أساسية :

قوة الشخصية التي لا تهيج لخصومه مواجهته فيدسون له الدسائس من بعيد ، ثم تكفي شخصيته لإفسادها ، ويبلغ من قوتها أن يلتجئ إليها خصومه أنفسهم حينما يقعون في الأزمات الشديدة ؛ وحادثة الخديو عباس والرجل الأرمني والمعتمد البريطاني معروفة ولها نظائر أخرى . . . والمروءة التي تلزمه ما لا يلزم الناس ؛ ومناصرته للثورة العرابية بعد تورط زعمائها — مع مخالفة لهم في مبدئها — تمثل من هذه المروءة النادرة ، ومثلها في الدلالة حوادث أخرى فردية مذكورة ، كاف نفسه فيها — دفاعا عن الحق ونجدة للضعفاء — ما لم يكلفه أحد ، وما لم يتطوع أحد كذلك

وقوة المنطق ووضوحه ؛ ومحاوراته وردوده الشفوية والمكتوبة كثيرة . وقد ذكر المؤلف بعضها حوادث وأخبارا وأقوالا ، دون أن يبرز هذه السمة وينص عليها .

* * *

إن موضوع « محمد عبده » لا يزال في حاجة إلى الدراسة على نحو جديد ... وإن كان الدكتور عثمان أمين يستحق الشكر لجمعه هذه المادة الخاصة من المؤلفات المتفرقة والصحف الموزعة . فقد هيأ لمن يكتب عن « محمد عبده » جزءا قيما من مواد الدراسة ، ووضع لبنة في هذا العمل نذكر له .

سيد قطب


ضحى الاسلام

يباع كل جزء من أجزائه بأربعين قرشا



## إعلان

تعلن وزارة الشئون الاجتماعية عن المناقصتين الآتيتين :

١ — توريد الأثاث اللازمة لمطاعم الجامعة الأزهرية بالقاهرة ، وحددت آخر موعد لتقديم العطاءات ظهر يوم الثلاثاء ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

— ٢ توريد الأواني النحاسية اللازمة لهذه المطاعم ، وحددت آخر موعد لتقديم العطاءات ظهر يوم الأربعاء ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

وترسل العطاءات برسم حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الشئون الاجتماعية بالقاهرة . وتطلب الشروط والمواصفات من إدارة المشتريات ( قلم المشتريات ) على ورقة مدمغة فئة الثلاثين مليما نظير مبلغ ٥٠ مليما ثمنا لشروط كل مناقصة .

٢٨٢٧



إنه في يوم الأحد ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٤ من الساعة الثامنة أفرنكي صباحا بناحية فها زمامها بنزة حمدي من تهاية اليوم وفي يوم الخميس ١٦ نوفمبر سنة ٤٤ من الساعة الثامنة أفرنكي صباحا بسوق طوخ إذا لزم الحال .

سيباع بطريق المزاد العلني الجبري الفائق الأشياء المحجوز عليها تنفيذا بمحضر الحجز التنفيذي المؤرخ ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٤ تنفيذا لعقد الإيجار الرسمي المؤرخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٢ لخلو الحقوق الرسمية بمحكمة مصر المختلطة وقدره ٢٥٥ م ٥٤٩ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف لكاتب حضرة صاحب العزة عثمان بك صبري بصفته المقيم بالإسكندرية ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ عبد الحميد رستم المحامي لدى محكمة النقض والإبرام والمحكمة العليا الشرعية بميدان المنشيات رقم ٢ بالقاهرة ضد فرج أفندي حبشي المقيم بقويسنا مركزها . بيان المحجوزات :

(١) زراعة ٢٣ ف أذرة شامي ينتج منها ٦٩ أردبا تقريبا (٢) أربعة أحمال بوص تقريبا من كل فدان أي ٩٢ حملا تقريبا . (٣) زراعة ٥ أفدنة أرز تقريبا . (٤) زراعة ٨ أفدنة قش مكاش (٥) كوم قش مكاش بقنطرتي ونصف تقريبا . (٦) ٣٠ أردب قش مكاش جاهز فعلى راغب الشراء الحضور في الزمان والمكان عاليه . الناظر


طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ٩ شارع السكرداسي — عابدين — القاهرة